

# البَابُ الثَّانِي

الشافعون للأمة يوم القيامة

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : شفاعة الرسول ﷺ

الفصل الثاني : شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته

الفصل الثالث : شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة

obeikandi.com

# الفصل الأول

## شفاعة الرسول ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : لمن الشفاعة :

المبحث الثاني : الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ :

وفيه مطلبان :

■ المطلب الأول : الشفاعة المتفق عليها في خصوصيتها .

■ المطلب الثاني : الشفاعة المختلف في خصوصيتها .

المبحث الثالث : الشفاعة العامة :

وفيه مطلبان :

■ المطلب الأول : الشفاعة لأهل الكبائر من أهل التوحيد في الخروج من النار .

■ المطلب الثاني : الشفاعة للأهل والأقارب .

obeikandi.com

## المبحث الأول

## لمن الشفاعة؟

لقد عرفنا فيما سبق الأدلة الواردة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، والإجماع وأقوال العلماء في إثبات الشفاعة يوم القيامة وكذلك أركانها وأسبابها وأحكامها . فمن خلال ذلك تبين أن الشفاعة تتنوع من حيث الشفعاء ، ومن حيث نوع الشفاعة ، فأحياناً يكون الشفيع نبياً محمداً ﷺ ، وأحياناً يكون غيره ، من الأنبياء والشهداء والصالحين والملائكة المقربين ، والعمل الصالح .

ولكن قبل أن نبدأ في بيان ذلك مفصلاً لابد أن نقدم بين يدي القارئ مبحثاً مهماً جداً متعلقاً بعبقيرة العبد المسلم ، وهو عبارة عن سؤال ، والجواب عنه توضيحاً وإكمالاً للفائدة فاما السؤال فهو : لمن الشفاعة؟ .

وأم الإجابة على هذا فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ [ الزمر : ٤٤ ] .

فهذه الآية تثبت الشفاعة لله وحده - سبحانه وتعالى - فاختصاص الله - عز وجل - بالشفاعة اختصاص ملك ، ومعنى ذلك أنه ليس لإحدٍ من الخلق شفاعة إلا من أخبر الله أن له شفاعة مقيدة بقيود وشروط ، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ورضاه ، مهما عظم جاهه عند الله - عز وجل - .

**قال ابن القيم - رحمه الله -** : « فأخبر أن حال ملكه للسموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه .. وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فإنه الذي أذن والذي قبِلَ والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة » (١) .

(١) بدائع التفسير لابن القيم ، جمع وتخريج / يسرى السيد محمد ( ٤ / ٦٣ ) - دار ابن الجوزي - الدمام - السعودية - ط الأولى ( ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ) .

وقال رحمه الله في النونية :

« وله الشفاعة كلها وهو الذي لمن ارتضى ممن يوحد ولم يشرك كما قد جاء في القرآن » (١)

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : « لا يملكها أحدٌ إلا بتمليكه ، ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه » (٢) ، « لأن الأمر كله لله ، وكل شفيع فهو يخافه ، ولا يقدر أن يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه فإذا أراد رحمة عبده أذن للشفيع الكريم عنده أن يشفع رحمة بالاثنين » (٣) .

ولا يحق لمنكر الشفاعة أن يستدل بهذه الآية على عدم وقوعها يوم القيامة .  
« فقد يستدل بهذه الآية على وجود الشفاعة في الجملة يوم القيامة لأن الملك أو الاختصاص الذي هو مفاد اللام هنا يقتضي الوجود فالاستدلال بها على نفي الشفاعة مطلقاً في غاية الضعف » (٤)

( فالمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولا تسأل إلا منه ، كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة ) (٥) .

فإذا كانت الشفاعة كلها لله ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، ولا يأذن الله تعالى إلا لأهل التوحيد ، تبين أن الشفاعة كلها لله وإنما يمنح غيره تفضلاً وإكراماً للشافع وللشفوع له .

فلهذا لم يجز طلبها من غيره ، بل تُطلب منه وحده ، بالقول : اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك محمد ﷺ ، أو كذلك الشهيد أو الصغير بالقول : اللهم شفّعه في ، ونحو ذلك .

(١) نونية ابن القيم .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ( ٧ / ١٨٧ ) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن / للسعدي ( ج ٧ / ٤٤ ) المجلد الرابع .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / الألوسي ( ج ٢٤ / ١٠ ) المجلد الثاني عشر - مع زيادة يسيرة - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط بدون .

(٥) معارج القبول / لحافظ حكيم ( ٢ / ٨٨٨ - ٨٨٩ ) .

فمن طلبها من النبي ﷺ بعد موته في الحياة البرزخية بحجة أنه يطلبها من الذي أعطاه الله إياها يقال له :

إن الله - عز وجل - أعطى رسوله ﷺ الشفاعة ، ونهاك أن تطلبها منه في حياتك وبعد موته ﷺ حال كونه في الحياة البرزخية ، بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، فتطلب الشفاعة بالدعاء فيشفعه الله فيك يوم القيامة بإذنه سبحانه وتعالى ، فهي مظهر من مظاهر رحمة الله - تعالى - لا يشمل بهذه الرحمة إلا من يستحقها .

قال الله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الاعراف : ١٥٦] .  
فالشفعاء وسيلة ينفذ من خلالهم قدر الله - عز وجل - والله تعالى أعلم .

## المبحث الثاني

## الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ

لقد خصَّ الله - تبارك وتعالى - نبيه محمداً ﷺ بخصائص عظيمة ومنح وعطايا كريمة ليس لاحد عليه فيها مزيد ولا يلحقه عبد من العبيد فيها ، ونجد أن هذه الخصائص تنقسم إلى قسمين هما :

## القسم الأول : خصائص تشريعية وهي :

[ ١ ] وهي ما اختص الله به النبي محمداً ﷺ من التشريعات الإلهية دون الأنبياء السابقين كما ورد ذلك في السنة النبوية المطهرة في قوله ﷺ : « أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي .. » (١) .

[ ٢ ] ما اختص به النبي ﷺ دون أمته مع مشاركة الأنبياء السابقين فيها ، كتزوجه بأكثر من أربع نسوة وغيرها .

## القسم الثاني : خصائص تفضيلية :

[ ١ ] وهي عبارة عن التشريفات والكرامات والفضائل التي خصَّ به نبينا محمد ﷺ دون غيره من الأنبياء في الحياة الدنيا أو الآخرة .

[ ٢ ] ما اختص به النبي ﷺ دون أمته مع مشاركة الأنبياء السابقين له فيها فمن هذه الخصائص التفضيلية تخصيص النبي ﷺ في بعض أنواع الشفاعة يوم القيامة عند رب العزة والجلال ، فمنها المتفق في خصوصيتها ، ومنها المختلف في خصوصيتها (٢) بل يشاركه فيها غيره من الشفعاء يوم القيامة ، وكل أنواع الشفاعة مختصة بأهل الإخلاص ، الذين لم يتخذوا من دون الله ولياً ولا شفيعاً ،

(١) سبق تخريجه ص ٨٦ .

(٢) يقصد بالمتفق في خصوصيتها : أي بين الأئمة والعلماء ، ويقصد بالمختلف في خصوصيتها : أي بين الأئمة والعلماء في كونها خاصة بالنبي ﷺ ، أم يشاركه غيره من الأنبياء وغيرهم من الشفعاء يوم القيامة .

كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ زَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [٥١] ، إلا نوع واحد من أنواع الشفاعة فلا يختص بأهل الإخلاص ، وهي الشفاعة لأبي طالب فهي تخفيف من العذاب خاصة بأبي طالب وحده .



## المطلب الأول

الشفاعة المتفق في خصوصيتها بالنبي ﷺ  
( العامة لأهل الموقف )

## أولاً: الشفاعة العظمى :

وهي أعظم الشفاعات وأعمها لأنها واردة من النبي ﷺ من أجل الشفاعة عند الله - عز وجل - ليقضي بين خلقه جميعاً ولم تكن مختصة بأمة دون أخرى ، ولهذا تسمى الشفاعة العظمى ، فهي شفاعة عامة لجميع أهل الموقف على اختلاف أديانهم لفصل القضاء بين الناس ، فهذا شامل للمؤمنين والكفار ، فهي شفاعة يومئذ لبدء الحساب ولن ينجي الكفار من النار .

وهي شفاعة خاصة بالنبي ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين طالباً ربه - عز وجل - أن يريح عباده من موقفهم العصيب ، ومن شدة الكرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩) . [الإسراء: ٧٩] .

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : « فقال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم » (١) .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال : الأول - وهو أصحابها - الشفاعة للناس يوم القيامة ، قاله حذيفة بن اليمان » (٢) .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : « قال العلماء : المقام المحمود هي شفاعته ﷺ يوم القيامة للناس في الموقف ، ليريحهم الله مما هم فيه من شدة » (٣) .

(١) جامع البيان في تاويل القرآن ( ٨ / ١٣١ ) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ٣٠٩ ) .

(٣) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ( ٢ / ٢١٢ ) .

( فلرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد .. ، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى ياتوا إلى محمد ﷺ فيقول: (أنا لها) (١) .

وقال ابن خزيمة (٢) - رحمه الله - : « ... أن المقام الذي يشفع فيه النبي ﷺ لأمته هو المقام المحمود الذي وعده الله - عز وجل - في قوله : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مُمْتَدًّا ﴾ (٧٩) [الإسراء: ٧٩] » (٣) .

وقال القاضي عياض - رحمه الله - : « وقال قتادة (٤) : كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة ، وعلى أن المقام المحمود مقامه ﷺ للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين » (٥)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ٥٩) .

(٢) هو محمد بن إسحاق بن المغيرة ، أبو بكر ، السلمى الشافعي ( المعروف بابن خزيمة ) ، الحافظ الحجّة الفقيه ، إمام الأئمة ، عني بالحديث والفقه ، فكان مضرب المثل في سعة علمه ، وكان له جلالة في القلوب لعلمه ودينه ، واتباعه للسنة . ولد سنة ٢٢٣هـ بالنيسابور ، من مصنفاته : " كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل " صحيح ابن خزيمة وغيرها ، توفي سنة ٣١١هـ بنيسابور . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي ( ٣ / ١٠٩ ، ١١٠ ) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١٤ / ٣٦٥ وما بعدها ) ، شذرات الذهب / لابن عماد ( ج ٢ / ٢٦٢ وما بعدها ) المجلد الأول ، الأعلام / للزركلي ( ٢٩ / ٦ ) .

(٣) التوحيد لابن خزيمة - تحقيق / عبدالعزيز الشهوان ( ٢ / ٧٢٤ ) مكتبة الرشد - الرياض - السعودية - ط الثانية - ( ١٤١١هـ - ١٩٩١م ) .

(٤) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي الضمير الاكمر المفسر ، ولد عام ٦٠هـ ، كان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب ، وكان أحفظ الناس ، لا يسمع شيئاً إلا حفظه ، وله تفسير ، مات بواسط في الطاعون سنة ١١٨هـ وقيل سنة ١١٧هـ . انظر : تذكرة الحفاظ / للذهبي ( ١ / ١٢٢ ) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ٥ / ٢٦٩ وما بعدها ) ، طبقات المفسرين / للدودي ( ٢ / ٤٣ ) ، الأعلام / للزركلي ( ٥ / ١٨٩ ) .

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - تحقيق / علي محمد الجاوي ( ١ / ٢٩٣ ) - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط بدون ( ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ) .

وقال الإمام اللالكائي (١) في بداية سياق أحاديث الشفاعة : ( ما روي في أن المقام المحمود هو الشفاعة ) (٢) .

وقال الإمام ابن حجر-رحمه الله-: « والراجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة » (٣) .  
وقد جاءت الأحاديث الصحيحة الصريحة في ذكر الشفاعة العظمى من ذلك ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : « أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تُعجبهُ فنهس (٤) منها نهسةً ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك يُجمعُ الناس الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ (٥) يسمعونهم الداعي وينفذهم البصر (٦) وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يُطبقون ولا يَحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم ﷺ فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك الا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول : آدم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن

(١) هو أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي اللالكائي ، من أهل طبرستان ، استوطن بغداد ، درس الفقه الشافعي وبرع فيه ، خرج في آخر أيامه إلى الدينور ، فمات بها كهلاً سنة ٤١٨ هـ ، له مصنفات من أشهرها ( شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ) وهي من أفضل الكتب التي ألفت في مجال العقيدة من حيث عرض أصول أهل السنة والجماعة . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١٧ / ٤١٩ - ٤٢٠ ) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي ( ٣ / ١٠٨٣ ) ، شذرات الذهب / لابن العماد ( ٣ / ٢١١ ) المجلد الثاني ، الأعلام / للزركلي ( ٨ / ٧١ ) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ( ٦ / ١١١٢ ) .

(٣) فتح الباري : كتاب الرقاق ( ١١ / ٤٣٥ ) .

(٤) فنهس : أخذ اللحم باطراف الأسنان ، والنهش : الأخذ بجمعيتها - النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ( ٥ / ١٣٦ ) باب النون مع الهاء .

(٥) صعيد واحد : الصعيد هو الأرض الواسعة المستوية . شرح النووي لصحيح مسلم ( ج ٣ / ٦٦ ) المجلد الأول .

(٦) ينفذهم البصر : ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم ويحيط بهم ، وقال صاحب المطالع : معناه أنه يحيط بهم الناظر . انظر : شرح النووي لصحيح مسلم ( ج ٣ / ٦٦ ) المجلد الأول ، وقيل : أراد ينفذهم بصر الناظر ، لاستواء الصعيد ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ( ٥ / ٩١ ) .

الشجرة فعصيتهُ نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري. ، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليئه من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات<sup>(١)</sup> ، ... ، نفسي نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أوامر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبياً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون محمداً ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فانطلق فاتي تحت العرش ، فاقع

(١) قول إبراهيم ﷺ : ﴿ إِنِّي سَجِيمٌ ﴾ ، وقوله ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله ( لطاغية مصر آنذاك أن سارة زوجته هي أخته ) - صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ، باب واتخذ الله إبراهيم خليلاً ( ٤ / ١٧١ ) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وقيل الثالثة قوله للكوكب : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ انظر : صحيح مسلم . قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : ( وإنما سُمِّيَ إبراهيم ﷺ هذه كذبات " تواضعا منه ، لأنها بحسب مراده صدق مطابق للواقع، فهي من باب التورية ، والله أعلم ) - شرح العقيدة الواسطية / لابن عثيمين ( ص ٤٠٢ ) .

## الشفاعة

ساجداً لربي - عز وجل - ثم يفتحُ اللهُ عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه عليَّ أحد قبلي ، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تُشفع ، فارفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء<sup>(١)</sup> الناس فيحنا سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وحمير<sup>(٢)</sup> ، أو كما بين مكة وبُصرى<sup>(٣)</sup> ،<sup>(٤)</sup> .

**قال ابن خزيمة - رحمه الله - :** « هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقضي اللهُ بين الخلق فعندما يأمره اللهُ - عز وجل - أن يدخل من لا حساب عليه من أمة الجنة من الباب الأيمن فهو أول الناس دخولاً الجنة من المؤمنين »<sup>(٥)</sup> .

**وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - :** « وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي ليعجل حسابهم ويراحوا من هول الموقف وهي الخاصة به ﷺ . وقوله : ( أقول يا رب أمتي أمتي ، اهتمام بأمر أمته وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم ، وقوله : فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه يدل على أنه شُفَّع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف ، فإنه لما أُمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته ، فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم وكان طلبه هذه

(١) هم شركاء الناس : يعني أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب .

(٢) حمير : قيل هي موضع باليمن غربي صنعاء ، وقيل محلة بظاهر دمشق على القنوات . انظر : معجم البلدان / ياقوت الحموي ( ٢ / ٣٠٧ ) .

(٣) بصرى : هي مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وهي مدينة حوران ، وبينها وبين مكة شهر . انظر : شرح النووي لصحيح مسلم ( ج ٣ / ٦٩ ) المجلد الأول .

(٤) رواه البخاري : كتاب التفسير ، باب تفسير سورة بني إسرائيل ( الإسراء ) ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ ( ٦ / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ) ح ٤٧١٢ ، وفي : أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ ( ٤ / ١٦٣ - ١٦٤ ) ح ٣٣٤٠ ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ( ١ / ١٨٤ - ١٨٥ ) ح ١٩٤ . واللفظ للبخاري .

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة ( ٢ / ٥٩٦ ) .

الشفاعة من الناس بإلهام من الله تعالى لهم حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه ﷺ المحمود الذي وعده (١) .

فهذا كلام فيه توضيح لما بعد الاستشفاع بالنبي ﷺ في ذلك اليوم في الشفاعة العظمى .

وكذلك من الأدلة على الشفاعة العظمى ما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً (٢) كُلُّ أمةٍ تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود (٣) .

وقوله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم » . وقال : « إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ، ثم بمحمد ﷺ . فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم (٤) .

### ثانياً : شفاعته لأهل الجنة ليدخلوها :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال النبي ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً ، وفي لفظ : " ... ، وأنا أول من يقرع باب الجنة " (٥) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « آتي باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح ،

(١) التذكرة من أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٢٨١) - دار الريان للتراث - القاهرة - مصر - ط الثانية (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

(٢) جثاً: جمعُ جثوةٍ بالضم، وهو الشيء المجموع، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١ / ٢٣٩) .

(٣) رواه البخاري: كتاب التفسير، سورة الإسراء ، باب قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ (١٠٨ / ٦) ح ٤٧١٨ .

(٤) رواه البخاري: كتاب الزكاة ، باب من سال الناس تكثراً ، (١٥٣ / ٢) ح ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ومسلم : كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس (٧٢٠ / ٢) ح ١٠٤٠ ، واللفظ للبخاري .

(٥) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : ( أنا أول الناس يشفع في الجنة ) (١٨٨ / ١) ح ١٩٦ .

فيقول الخازن : من أنت ؟ ، فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرتُ لا أفتح لأحدٍ قبلك « (١) .

وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط ، وقفوا على قنطرة ، فيقتصص لبعضهم من بعض ، وهذا القصاص غير القصاص الذي كان في عرصات القيامة ، بل هو قصاصٌ اخص ، يطهر الله فيه القلوب ، ويزيل ما فيها من أحقاد وضغائن ، فإذا هُذِّبوا ونُقِّوا ، أذن لهم في دخول الجنة .

ولكنهم إذا أتوا إلى الجنة ، لا يجدونها مفتوحة كما يجد ذلك أهل النار ، فلا تفتح الأبواب ، حتى يشفع النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها ، فيدخل كل إنسان من باب العمل الذي يكون أكثر اجتهاداً فيه من غيره ، وإلا فإن المسلم قد يدعى من كل الأبواب .

وهذه الشفاعة يشير إليه القرآن ، لأن الله قال في أهل الجنة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣] ، وهذا يدل أن هناك شيئاً بين وصولهم إليها وبين فتح الأبواب (٢) .

وقال ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تُزلف (٣) لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك : أذهبوا ... فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له ... » (٤) .

(١) المصدر السابق ( ١ / ١٨٨ ) ح ١٩٧ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله (ص ٤٠٣) .

(٣) تُزلف : أي تقرب : كما قال الله تعالى : ﴿ وَأُزِلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي قربت ، النهاية / لابن الأثير ( ٢ / ٣٣٠ ) نحوه .

(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ( ١ / ١٨٦ ) ح ١٩٥ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره .. ورواه البخاري : ك الأنبياء ، باب قول الله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ ، وغيره برقم ( ٣٣٤٠ ، ٣٣٦١ ) ، كتاب التفسير ، باب : ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ برقم ( ٤٧١٢ ) واللفظ لمسلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - « أول من يستفتح باب الجنة : محمد ﷺ ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ، <sup>(١)</sup> وذلك لقوله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة .. » <sup>(٢)</sup> .

وقال رحمه الله تعالى : « وهاتان الشفاعتان خاصتان به ﷺ ، <sup>(٣)</sup> أي الشفاعة العظمى ، والشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة .

### ثالثاً : شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار :

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ دون غيره وهي شفاعته في عمه أبي طالب ، فكما ورد في الصحيحين أن أبا طالب مات على الكفر إلا أنه أحسن إلى رسول الله ﷺ إحساناً كبيراً ، فاستحق هذه الشفاعة من النبي ﷺ بسبب نصرته ودفاعه عنه .

« وكان من حكمة الله - عز وجل - أن بقي ( أبو طالب ) على كفره ، لأنه لولا كفره ، ما حصل هذا الدفاع عن الرسول عليه الصلاة والسلام بل كان يؤدي كما يؤدي الرسول ﷺ ، لكن بجاهه العظيم عند قريش وبقائه على دينهم صاروا يعظمونه ، وصار للنبي عليه الصلاة والسلام جانب من الحماية بذلك ، <sup>(٤)</sup> .

والدليل على هذه الشفاعة ما ورد عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، قال للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ، قال : « هو في ضحضاح <sup>(٥)</sup> من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار ، <sup>(٦)</sup> .

(١) مجموع الفتاوى ( ٣ / ١٤٧ ) .

(٢) رواه مسلم : كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ( ٢ / ٥٨٥ - ٥٨٦ ) ح ٨٥٥ ، والبخاري : كتاب الإيمان والنذور ، باب الأول ( ٨ / ١٦٠ - ١٨٩ ) ح ٦٦٢٤ وكتاب الديات ، باب من أخذ حقه أو اقتضى دون السلطان ( ٩ / ٨ ) ح ٦٨٨٧ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم .

(٣) مجموع الفتاوى ( ٣ / ١٤٧ ) .

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله ( ص ٤٠٤ ) .

(٥) ضحضاح : الضحضاح في الأصل : مازق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ( ٣ / ٧٥ ) .

(٦) رواه البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب ( ٥ / ٦٥ ) ح ٣٨٨٣ ومسلم : كتاب الإيمان ، باب شفاعته النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ( ١ / ١٩٥ ) ح ٢٠٩ واللفظ للبخاري .

## الشفاعة

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم «وذكر عنده عمه فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه» (١).

فلا بد أن نعلم أن هذه الشفاعة التي نفعت أبا طالب هي شفاعة تخفيف عليه من دركات النار وليست شفاعة إخراج ، ولكن يعتبر أهون أهل النار من الكفار عذاباً كما ورد ذلك في الحديث الصحيح بقوله صلى الله عليه وسلم : «أهون أهل النار عذاباً أبو طالب ، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه» (٢).

« فلا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة» (٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «فإذا كان في الكفار من خفي كفره بسبب نصرته ومعونته فإنه تنفعه شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب عنه لا في إسقاط العذاب بالكلية» (٤).

وقال الإمام البيهقي (٥) - رحمه الله - : «صحت الرواية في شأن أبي طالب فلا

- 
- (١) رواه البخاري : كتاب مناقب الأنصار ، باب قصة أبي طالب ( ٦٦ / ٥ ) ح ٣٨٨٥ ، ومسلم : كتاب الإيمان : باب شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب / ٢٩٥ / ح ٢٠٩ .  
 (٢) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب أهون أهل النار عذاباً ( ١ / ١٩٦ ) ح ٢١٢ ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، وأحمد في مسنده ( ١ / ٢٩٠ ) وغيرهما .  
 (٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة / للقرطبي ( ص ٢٨٧ ) مع زيادة يسيرة .  
 (٤) مجموع الفتاوى ( ١ / ١٤٤ ) .

(٥) هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، المولود في خسر وجرى ( من قرى بيهق بنيسابور ) عام ٣٨٤ هـ ، وهو فقيه ، حافظ ، أصولي ، زاهد ، ورع ، من جبال العلم ، . . . سمع من كبار علماء عصره ، ورحل لطلب العلم إلى بغداد وخراسان والحجاز وغيرها من البلدان ، اشتغل بالتصنيف ، بلغت تصانيفه ألف جزء ، منها : ( السنن الكبرى والصغرى ، دلائل النبوة ، الأسماء والصفات في التوحيد ، الاعتقاد ، . . . البعث والنشور ) وغير ذلك ، توفي عام ٤٥٨ هـ في نيسابور . انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك / لابن الجوزي - تحقيق / محمد عبدالقادر عطا وآخر ( ١٦ / ٩٧ ) ترجمة رقم ٣٣٨٧ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط بدون ، طبقات الشافعية / للمسبكي ( ٤ / ٨ - ١٦ ) ، سير اعلام النبلاء / للذهبي ( ١٨ / ١٦٣ وما بعدها ) ، الاعلام / للزركلي ( ١ / ١١٦ ) .

معنى للإنكار من حيث صحة الرواية ، ووجهه عندي أن الشفاعة في الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق في أنه لا يشفع فيهم أحد، وهو عام في حق كل كافر ، فيجوز أن يخص منه من ثبت الخبر بتخصيصه ، قال : وجملة بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه ، فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض أجزاء معاصيه تطيباً لقلب الشافع لا ثواباً للكافر لأن حسناته صارت بموته على الكفر هباء منثوراً ، (١) .

فلا تعارض مع قول الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (٤٨) [ المدثر : ٤٨ ] ، إذ شفاعة الرسول ﷺ لأبي طالب مخصوصاً من هذه الآية .  
وقال القرطبي (٢) - رحمه الله - في كتابه المفهم . . . اختلف في هذه الشفاعة هل هي لبيان قولٍ محققٍ أو لسان حال ؟ .

**والأول** : يشكل بالآية ، وجوابه جواز التخصيص .

**والثاني** : يكون معناه أن أبا طالب لما بالغ في إكرام النبي ﷺ والذب عنه جوزي على ذلك بالتخفيف فأطلق على ذلك شفاعة لكونها بسببه .

وقد يورد أيضاً على هذا المعنى فيقال : هذا إثبات نفع الكافر في الآخرة بما عمله في الدنيا . وقد نفاه النبي ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله ابن جُدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ ، قال ﷺ : « لا تنفعه إنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » (٣) .

(١) كتاب البعث والنشور - تحقيق الشيخ ، عامر أحمد حيدر (ص ٦١) مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - ط الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ، وانظر: فتح الباري (١١ / ٤٣٩) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي ، فقيه مالكي ، من رجال الحديث ، كان مدرساً بالأسكندرية ، ولد سنة (٥٧٨هـ) بقرطبة ، من كتبه : (( المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، مختصر الصحيحين )) ، توفي بالأسكندرية سنة (٦٥٦هـ) . انظر : شذرات الذهب / لابن العماد (٥ / ٢٧٣ - ٢٧٤) ، الاعلام / للزركلي (١ / ١٨٦) .

(٣) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمله (١ / ١٩٦) ح ٢١٤ ، وأحمد في مسنده (٦ / ٩٣ و ١٢٠) .

ويقوله ﷺ: « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنةً ، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيُطعمُ بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنةٌ يُجزى بها » (١) .

والجواب من وجهين :

أحدهما : ما تقدم في جواز التخصيص .

والثاني : أن المخفف عنه لما لم يجد أثراً لما خُفف عنه فكأنه لم ينتفع بذلك .

ألا ترى أنه يعتقد أنه ليس في النار أشد عذاباً منه؟ ، مع أن عذابه جمرة من جهنم في أخمصه ، وسببه : أن القليل من عذاب جهنم - أعاذنا الله منه - لا تطيقه الجبال ، وخصوصاً عذاب الكافر ، وإنما تظهر فائدة التخفيف لغير المعذب ، وأما المعذب فمشتغل بما حلَّ به ، إذ لا يُخلَى ، ولا بغيره يتسلى ، فيصدق عليه أنه لم ينتفع ولم يحصل له نفع البتة (٢) .

فالنبي ﷺ لم يكن له مطلق الحرية في اختيار نوع الشفاعة ، بل يكون ذلك محدداً بنوع معين منها وهي شفاعة تخفيف من العذاب لا شفاعة إخراج من النار . قال الإمام الصنعاني (٣) - رحمه الله - ، ذاكراً شفاعة الرسول الخاصة به دون غيره : « والخاصة هي الشفاعة الكبرى التي تدافعها الأنبياء ، وكذلك الشفاعة في دخول الجنة ، وكذلك في التخفيف من عذاب الكفار فهذه ثلاثة أنواع مختصة به ﷺ »

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل ... ( ٤ / ٢١٦٢ )

ح ٢٨٠٨ ، واللفظ له ، وأحمد في مسنده ( ٣ / ١٢٣ و ٢٨٣ ) من حديث انس ابن مالك رضى الله عنه .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي - تحقيق / محي الدين ديب مستو وآخرون ( ١ /

٤٥٧-٤٥٨ ) - دار ابن كثير - دمشق - سوريا ، بيروت - لبنان ، ودار الكلم الطيب - دمشق -

سوريا ، بيروت - لبنان - ط الأولى ( ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ) ، وانظر : فتح الباري ( ١١ / ٤٣٩ ) .

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسن الكحلاني ثم الصنعاني ، أبو إبراهيم ، المعروف

بالأمير ، ولد في كحلان سنة ١٠٩٩هـ ، ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء سنة ١١٠٧هـ ، أصيب

بمحن كثيرة ، له نحو مائة مؤلف منها : ( توضيح الأفكار في المصطلح ، سبل السلام ، تطهير الاعتقاد

عن أدران الإلحاد ، إبقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ) وغير ذلك . انظر : البدر الطالع / للشوكاني

( ٢ / ١٣٣-١٣٩ ) ، الأعلام / للزركلي ( ٦ / ٣٨ ) .

من الشفاعة ، (١) .

رابعاً : شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « عرضت عليّ الأمم ، فأخذ النبي يمرّ معه الأمة والنبي يمرّ معه النفر ، والنبي يمرّ معه العشرة ، والنبي يمرّ معه الخمسة ، والنبي يمرّ وحده ، فنظرت فإذا سوادٌ كثيرٌ ، قلتُ يا جبريل هؤلاء أمّتي ؟ ، قال : لا ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سوادٌ كثيرٌ ، قال هؤلاء أمّتك وهؤلاء سبعون ألفاً قد امهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت ولم ؟ ، قال : كانوا لا يكتوبون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام إليه عكاشة ابن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : ( اللهم اجعله منهم ) ثم قام إليه رجل آخر قال ادع الله أن يجعلني منهم قال : ( سبقك بها عكاشة ) (٢)

ومن ذلك ما يُقال للنبي ﷺ في الشفاعة العظمى : « يا محمد أدخل من أمّتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة .. » (٣) .

وعن عمران بن حصين (٤) رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يدخل الجنة من أمّتي سبعون ألفاً بغير حساب » (٥) .

(١) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة - تحقيق / محمد صبحي حلاق (ص ٤٤٦) - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (١٤٠ / ٨) ح ٦٥٤١ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٩٩) ح ٢٢٠ ، واللفظ للبخاري .

(٣) سبق تخريج الحديث ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ص ١٥٠ .

(٤) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي ، أبو نجيد ، أسلم عام خيبر وغزا مع رسول الله ﷺ عدة غزوات ، وبعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة يفتحه أهلها ، وتولى قضاء البصرة في عهد عبد الله ابن عامر ، ثم استعفى فاعفاه ، وكان مجاب الدعوة ، ولم يشهد الفتنة ، توفي سنة ٥٢هـ ، انظر : أسد الغابة (٣ / ٢٩٩ ، ٣٠٠) ترجمة رقم / ٤٠٤٢ ، سير أعلام النبلاء (٢ / ٥٠٨ وما بعدها) ، تذكرة الحفاظ (١ / ٢٩ ، ٣٠) ، تقريب التهذيب (١ / ٧٥٠) ترجمة رقم / ٥١٦٦ .

(٥) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، (١٢٤ / ٨) ح ٦٤٧٢ ورواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٩٨) ح ٢١٨ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدخل - أي الجنة - من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » (١) .  
فمن خلال ما أوردنا من أدلة يتبين بأن السبعين ألفاً هم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو أحق بالشفاعة فيهم فتكون خاصة به صلى الله عليه وسلم دون غيره من الشفعاء .

قال ابن حجر - رحمه الله - : « .. فإن السبعين ألفاً المذكورين من جملة أمته ، لكن لم يكونوا في الذين عرضوا إذ ذاك فأريد الزيادة في تكثير أمته بإضافة السبعين ألفاً إليهم » (٢) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « فكونهم من أمته صلى الله عليه وسلم لا شك فيه .. » (٣) .

وقال الإمام السفاريني - رحمه الله - : « يشفع - صلى الله عليه وسلم - عند ربه في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب ، فإن هذه خاصة به - صلى الله عليه وسلم - كما قال القاضي عياض ، والإمام النووي .. وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي (٤) في أنموذج اللبيب » (٥) .

وكما ورد في بعض الروايات أن الله - عز وجل - أعطاه ، ووعدته ذلك من أمته ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر

(١) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٨ / ١٤٠) ح ٦٥٤٢ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١ / ١٩٧) ح ٢١٦ .

(٢) فتح الباري (١١ / ٤١٦) .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم (ج ٣ / ٩٤) المجلد الأول .

(٤) هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضير ، السيوطي ، أو الأسيوطي نسبة على أسيوط مصر ، الشافعي ، المسند ، المحقق ، إمام ، حافظ ، مؤرخ ، أديب ، ولد في عام ٨٤٩هـ ، توفي والده وهو ابن خمس سنوات ، ختم القرآن وعمره ثمان سنين ، ثم حفظ عدداً من الكتب .. توفي في روضة المقياس (على نيل مصر) في منزله .. عام ٩١١هـ ، وله عدة مصنفات تزيد على الخمسمائة منها : (تناسق الدرر في تناسب السور ، الإنقان في علوم القرآن ، تاريخ الخلفاء ، طبقات المفسرين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور .. وغيرها كثير . انظر : شذرات الذهب / لابن العماد (ج ٨ / ٥١) المجلد الرابع ، الضوء اللامع / للسخاوي (ج ٤ / ٦٥ وما بعدها) ، المجلد الثاني ، الأعلام / للزركلي (٣ / ٣٠١-٣٠٢) .

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢ / ٢١١) .

ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد ، فاستزدت ربي - عز وجل - فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً ،<sup>(١)</sup> .

وقال ﷺ : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفاً ، وثلاث حثيات<sup>(٢)</sup> من حثيات ربي - عز وجل - ،<sup>(٣)</sup> .

فهذا إكرام من الله - عز وجل - لرسوله ﷺ ، ولأمته ولكن لا ينال هؤلاء السبعون ألفاً الجنة إلا بانطباق ما ذكر في الحديث في أوصافهم حتى يدخلوها بغير حساب ولا عذاب ..

### خامساً : خصوصيته في تأجيل دعوته لأمته ﷺ :

هذه دعوة تأجيلها خاص بالنبي ﷺ ، لأن إخوانه من الانبياء دعوا بالدعوات الذي أعطاهم الله إياها ولم يثبت تأخير شيء منها .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - : « إن الله عز وجل أعطى كل نبي دعوة وعد إجابتها ، فتعجل كل نبي منهم - صلى الله عليهم وسلم - مسألته فأعطى سؤله ،

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ( ٦ / ١ ) ، وقال الهيثمي رواه أحمد وأبو يعلى وفيهما المسعودي وقد اختلط وتابعيه لم يسم ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ، مجمع الزوائد ( ١٠ / ٤١٠ ) ، وقال الشيخ الألباني رحمه الله : ( الحديث صحيح فإن له شواهد كثيرة عن جمع من الصحابة ، انظر : سلسلة الاحاديث الصحيحة ، برقم ( ١٤٨٤ ) .

(٢) الحثيات : هي كناية عن المبالغة في الكثرة . انظر : النهاية في غريب الحديث والاثار / لابن الاثير ( ١ / ٣٣٩ ) .

(٣) الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في الشفاعة ( ٤ / ٥٤٠ ) ح ٢٤٣٧ ، وقال هذا حديث حسن غريب ، وابن ماجه في سننه : كتاب الزهد ، باب صفة أمة محمد ﷺ ( ٢ / ١٤٣٣ ) ح ٤٢٨٦ ، وأحمد في مسنده ( ٥ / ٢٦٨ ) والسنة لابن أبي عاصم - تحقيق الألباني ( ٢ / ٣٨٥ ) ح ٨١٤ ، ومشكاة المصابيح تحقيق الألباني ( ٣ / ١٥٤١ ، ١٥٤٢ ) ح ٥٥٥٦ ، كلهم من حديث أبي امامه الباهلي رضي الله عنه ، وقال الشيخ الألباني : إسناده صحيح ، وانظر : صحيح الجامع برقم / ٧١١١ ، وكذلك انظر : الكلام في إسناده في كتاب الشفاعة : للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله ( ص ١١٣ ) - دار الارقم - الكويت - ط الثانية ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) .

وأخر نبينا ﷺ دعوته ليجعلها شفاعاة لأمته « (١) .

فهي مخصوصة بأمته ﷺ مضمونة الإجابة من الله - عز وجل - فكونها مرتبطة بالشفاعة يوم القيامة ذكرناها في هذا الموطن ، لثبوت ذلك عن النبي ﷺ بقوله : « لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيبت ، فجعلت دعوتي شفاعاة لأمتي يوم القيامة » (٢) .

فهذه الدعوة هي شفاعاة لأمته يوم القيامة سواء كانت لأهل الجنة ليدخلوها ، أو لأهل الذنوب والمعاصي من أمته خاصة .

« وإلا فقد أخبر ﷺ أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا وأعطى بعضها ، ومُنِعَ بعضها ، وأدخِرَ لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة ، وخاتمة المحن ، وعظيم السؤال والرغبة » (٣) .

قال القاضي عياض - رحمه الله - : عند قوله ﷺ : « لكل نبي دعوة يدعو بها ، واختبأت دعوتي شفاعاة لأمتي يوم القيامة » (٤) ، قال أهل العلم : دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ، ويُبلَغُ فيها مرغوبهم ، وإلا فكَمَ لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ، ولنبينا ﷺ منها ما لا يُعدُّ ، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف ، وضمَّنتُ لهم إجابة دعوة فيما شاءوه ، يدعون بها على يقين من الإجابة » (٥) .

ولهذا « فالأخبار التي روينا عن نبينا ﷺ فيما فضله به من الشفاعاة وتشفيعه إياه فيما يشفع فيه أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقة ما حوت على ما اقتصصنا » (٦) .

(١) كتاب التوحيد / لابن خزيمة ( ٢ / ٦٢٢ ) ، وانظر: المعجم الكبير للطبراني ( ١٢ / ٤١٣ ) برقم ١٣٥٢٢ .

(٢) سبق تخريج الحديث ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ص ٨٦ .

(٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق / علي محمد البجّاي ( ١ / ٣٠٢ - ٣٠٣ ) .

(٤) سبق تخريج الحديث ص ٨٦ .

(٥) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ( ١ / ٣٠٢ ) .

(٦) كتاب السنة / لابن أبي عاصم - تحقيق / الألباني ( ٢ / ٣٩٩ ) بتصريف يسير .

## المطلب الثاني

الشفاعة المختلف<sup>(١)</sup> في خصوصيتها بالنبي - ﷺ -

أولاً: شفاعته في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فلا يدخلونها :

وفي ذلك ما ورد عن النبي - ﷺ - قال : « أمر بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار ، قال : فيقولون : يا محمد ننشدك الشفاعة ، قال : فأمر الملائكة أن يقفوا بهم ، قال : فانطلق واستأذن على الرب - عز وجل - فيأذن لي فأسجد وأقول : يا رب قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار ، قال : فيقول لي : انطلق فأخرج منهم ، قال : فانطلق وأخرج منهم من شاء الله أن أخرج ، ثم ينادي الباكون : يا محمد ننشدك الشفاعة فأرجع إلى الرب فأستأذن فيؤذن لي فأسجد ، فيقال لي : ارفع رأسك ، وسل تعطه واشفع تشفع ، فأتني على الله بثناء لم يشن عليه أحد ، أقول : ثم قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار ، فيقول : انطلق فأخرج منهم قال : فأقول يا رب ، أخرج منهم من قال : لا إله إلا الله ، ومن كان في قلبه حبة من إيمان ، قال : فيقول : يا محمد ليست تلك لك ، تلك لي ، قال : فانطلق وأخرج من شاء الله أن أخرج ، قال : ويبقى قوم فيدخلون النار ، فيعيرهم أهل النار ، فيقولون : أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به أدخلكم النار ، قال : فيحزنون لذلك ، قال : فيبعث الله ملكاً بكف من ماء فينضح بها في النار ، ويغبطهم أهل النار ، ثم يخرجون ويدخلون الجنة فيقال : انطلقوا فتضيفوا الناس ، فلو أنهم جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمون المجردين ، (٢) .

(١) المختلف من خصوصيتها به ﷺ : أي هل هذه الشفاعة خاصة به ﷺ أم يشركه غيره فيها من الملائكة والأنبياء والصالحين، أما الإختلاف في حكم ثبوت هذا النوع من الشفاعة فسيرد أقوال الأئمة في ذلك .  
(٢) النهاية في الفتن والملاحم - تحقيق / محمد أحمد عبد العزيز (٢ / ٢٠٥ - ٦ - ٢) دار الصابوني - القاهرة - مصر - ط بدون ، والحديث رجاله رجال الصحيح إلا إسماعيل بن عبيد ابن أبي كريمة ، وقد وثقة الدارقطني ، وقال الجماعي : يحدث عن ابن سلمة بمعجائب كما في التهذيب والميزان ، ويخشى أيضاً من إرساله ، فيحتمل أن يكون عبد الله بن الحارث سمعه من أبي هريرة ، ويحتمل أن يكون أرسله ، والله أعلم - انظر : كتاب الشفاعة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - ( ص ١١١ ) .

## الشفاعة

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « وهذا يقتضي تعداد هذه الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات ألا يدخلوها ، ويكون معنى قوله ( أخرج ) أي ( أنقذ ) بدليل قوله - ﷺ - بعد ذلك : ( ويبقى قوم فيدخلون النار ) » (١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - في قوله تعالى : ﴿ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [ فاطر : ٣٠ ] ، قال : ( أجورهم يدخلهم الجنة ، ويزيدهم من فضله ، الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا ) (٢) .  
وقد نص على هذا النوع من الشفاعة أئمة من المسلمين ، وذلك عند ذكركم أنواع الشفاعة ، منهم :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فيشفع - ﷺ - فيمن استحق النار أن لا يدخلها ... » (٣) .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : « شفاعته - ﷺ - لبعض العصاة من أمته قد استوجبوا النار أن لا يدخلوها » (٤) .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا - ﷺ - ومن شاء الله تعالى » (٥) .

(١) النهاية في الفتن والملاحم ( ٢ / ٢٠٦ ) .

(٢) حلية الأولياء لابي نعيم ( ٤ / ١٠٨ ) ومجمع الزوائد للإمام الهيثمي ( ٧ / ١٣ ) وقال : رواه الطبراني من الاوسط والكبير ، وفيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه فقال : أتى بخبر منكر ، وبقية رجاله وثقوا ، والسنة لابن أبي عاصم - تحقيق : الألباني ( ٢ / ٤٠٨ ) وقال الألباني - رحمه الله - : ( إسناده ضعيف ، انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم برقم ( ٨٤٦ ) ، وقال الشيخ مقبل - رحمه الله - : ( غريب من حديث الأعمش ، عزيز عجيب من حديث الثوري ، تفرد به إسماعيل بن عبيد الكندي عن الأعمش ، وعن إسماعيل بقيه بن الوليد وحديث الثوري لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ .... ) انظر : كتاب الشفاعة ، ص ١١١ ، ١١٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ( ٣ / ١٤٧ ) .

(٤) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ، جمع وتحقيق / عبد الاله بن سلمان الأحمد ( ٢ / ٢١٣ ) .

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم ( ٣ / ٣٥ ) المجلد الأول .

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وفي إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا » (١) .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « ... وفي قوم من أمته استوجبوا النار فيشفعه فيهم نبينا - ﷺ - ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة » (٢) .

وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « شفاعته في أقوام ... ، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلوها » (٣) .

وذكر في كتاب فتح المجيد : « شفاعته - ﷺ - لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم ، فيشفع لهم أن لا يدخلوها » (٤) .

وأما بالنسبة لاختلاف في خصوصيتها بالنبي - ﷺ - دون غيره .

فقد ذكر الإمام السفاريني في كتابه بقوله : « جزم القاضي وابن السبكي بعدم اختصاصها به - ﷺ - وتردد النووي في ذلك . قال السبكي لأنه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه . وجزم في الأئمة ( السيوطي ) بأنها من خصائصه - ﷺ - » (٥) .

ومن نص على عدم خصوصيتها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « وأما الشفاعة الثالثة ، فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصدّيقين وغيرهم ، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها » (٦) .

« فهي ليست خاصة بالنبي - ﷺ - ، بل تكون للنبيين ، حيث يشفعون في عصاة قومهم ، وللصدّيقين يشفعون في عصاة أقاربهم وغيرهم من المؤمنين ، وكذلك تكون

(١) فتح الباري ( ١١ / ٤٣٦ ) .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ( ص ٢٨٦ ) مع زيادة يسيرة .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق اللبناني ( ص ٢٣٢ ) .

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ( ص ١٨٧ ) وأعلام السنّة المنشورة لحافظ حكيم ( ص ١٤٥ ) في سؤال كم أنواع الشفاعة .

(٥) لوامع الأنوار البهية ( ٢ / ٢١١ ) .

(٦) مجموع الفتاوى ( ٣ / ١٤٧ ) .

لغيرهم من الصالحين، حتى يشفع الرجل في أهله وفي جيرانه وفيما أشبه ذلك»<sup>(١)</sup>.  
فالأحاديث في غير هذا النوع من الشفاعة، كثيرة جداً، بل متواترة.

وأما هذا النوع وهو (فيمن استحق النار أن لا يدخلها) فقد يستفاد من دعاء الرسول - ﷺ - للمؤمنين بالمغفرة والرحمة على جنازتهم لأن دعوة النبي - ﷺ - مقبولة، وكذلك دعاء المؤمنين الصالحين لبعضهم البعض.

### ثانياً: شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة :

ودليل هذا ماورد عن النبي - ﷺ - في دعائه لأبي سلمة<sup>(٢)</sup> لما توفي فقال :  
«اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونور له فيه»<sup>(٣)</sup> .  
فدعاه بزفع درجته في الجنة ، وكذلك قوله - ﷺ - : «اللهم اغفر لعبيد أبي عامر<sup>(٤)</sup> ، . . . . ، اللهم أجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس»<sup>(٥)</sup> .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله - عز وجل - ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : يارب أتى لي هذه ؟ ، فيقول : باستغفار ولدك لك»<sup>(٦)</sup> .

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص ٤٠٦) مع تصرف يسير .

(٢) الصحابي الجليل : عبد الله بن عبد الأسد هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، أمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو ابن عمه النبي ﷺ ، كان قديماً للإسلام . هاجر إلى الحبشة معه امرأته أم سلمة ، ثم عاد وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا ، وجرح بأحد فمات منه في جمادي الآخرة سنة ٤ هـ ، انظر : أسد الغابة ( ٦ / ١٦١ ، ١٦٢ ) ، ترجمة رقم / ٥٩٧١ ، تقريب التهذيب ( ١ / ٥٠٦ ) رقم / ٣٤٣٦ .

(٣) رواه مسلم : كتاب الجنائز ، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر ( ٢ / ٦٣٤ ) ح ٩٢٠ من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، أحمد في مسنده ( ٦ / ٢٩٧ ) .

(٤) هو عبيد بن سليم بن حضار عم أبي موسى الأشعري . انظر : ( ٧ / ٢٥٢ ) برقم / ١٠١٧٩ .

(٥) رواه البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة أوطاس ( ٥ / ١٩٨ ) ح / ٤٣٢٣ ، ومسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين ( ٤ / ١٩٤٣ ) ح ٢٤٩٨ ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٦) رواه أحمد في مسنده ( ٢ / ٥٠٩ ) ، ومالك في الموطأ : كتاب القرآن ، باب العمل في الدعاء ( ١ / ٢١٧ ) ح ٣٨ ، واللفظ لأحمد .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « شفاعته - ﷺ - في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها » (١) .

وقال شارح العقيدة الطحاوية عند ذكره لأنواع الشفاعة : « وشفاعته - ﷺ - في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم » (٢) .  
وقد قيل إن هذه الشفاعة خاصة بالنبي - ﷺ - دون غيره .

وذكر الإمام السفاريني - رحمه الله - : « أن النووي جوز اختصاصها به - عليه الصلاة والسلام - وجزم في كتاب الانتقاء له باختصاصها به .. وصرح به القاضي عياض وابن دحية » (٣) .

وقيل إنها ليست خاصة به - ﷺ - ولكنه هو المقدم فيها (٤) .

وقد يستشهد بعدم اختصاصها بالنبي - ﷺ - بحديث أبي هريرة السابق في شفاعة الأولاد لأبائهم وكذلك الشفعاء من الأنبياء والملائكة والصالحين ، أو الأعمال الصالحة ، لقوله - ﷺ - : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٥) .

### ثالثاً : شفاعته في أقوام تساوت حسناتهم وسيناتهم :

وقد ذكر بعض العلماء أن من أنواع شفاعة الرسول - ﷺ - شفاعته فيمن استوت حسناته وسيناته أن يدخل الجنة .

قال ابن حجر - رحمه الله - : « وظهر لي بالتتابع شفاعة أخرى وهي الشفاعة

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ( ص ٢٨٦ ) ، وشرح النووي لصحيح مسلم ( ج ٣ / ٤٤ ) المجلد الأول .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق الألباني ( ص ٢٣٢ ) ، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ( ص ١٨٧ ) .

(٣) لواعم الأنوار البهية ( ٢ / ٢١١ ) .

(٤) أعلام السنة المنشورة ، لحافظ الحكمي ( ص ١٤٥ ) وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ( ص ١٨٧ ) .

(٥) رواه مسلم : كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ( ٣ / ١٢٥٥ ) ح ١٦٣١ ، من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأبو داود في سننه : كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت ( ٣ /

٣٠٠ ) ح ٢٨٨٠ ، وأحمد في مسنده ( ٢ / ٣٧٢ ) ، وغيرهم .

فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة ، ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ( السابق يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم ) - (١) .

وقال - رحمه الله - : « أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم » (٢) .

وقد ذكر الله - عز وجل - في كتابه الكريم قوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [ فاطر : ٣٢ ] .

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسيره : « أن الظالم ها هنا لم يكن كافراً ولا فاسقاً . قال : ومن روى عنه هذا القول عمر وعثمان وأبو الدرداء ، وابن مسعود ، وعقبة بن عمرو وعائشة ، والتقدير على هذا القول : أن يكون الظالم لنفسه الذي عمل الصغائر » (٣) .

وبهذه الصغائر يتأخر دخولهم الجنة تطهيراً لهم وتنقية لهم .

ففي هذه الحالة يحتاجون إلى شفاعة تنجيهم من دخول النار وتدخلهم الجنة ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال في هذه الآية ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ قال : « هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة » (٤) .

فكلهم أصحاب الجنة ولكن يتفاوتون في الدرجات وفي وقت دخولهم إليها .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ( ١١ / ١٨٩ ) برقم ( ١١٤٥٤ ) ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو ضاع ، انظر مجمع الزوائد ( ١٠ / ٣٧٨ ) .

(٢) فتح الباري ( ١١ / ٤٣٦ ) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ( ١٤ / ٣٤٦ ) بتصريف يسير .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ( ٣ / ٧٨ ) والترمذي : كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الملائكة ( ٥ / ٣٣٨ ) ح ٣٢٢٥ ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « شفاعة - ﷺ - في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة » (١) .

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - : « شفاعة - ﷺ - في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة » (٢) .

فهذا النوع من الشفاعة ثابت بقول بعض أئمة السلف ، ولكن لم يرد فيه تخصيص أو عدمه فلم أقف على كلام يثبت ذلك .

وقال الإمام السفاريني - رحمه الله - : « وبالشفاعة في جماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم من الطاعات » (٣) .

ولكن في كلامه هذا رحمه الله لم يوضح نوع الشفاعة ، فقد تكون الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، وقد تكون الشفاعة في رفع درجات أهل الجنة ، ومن استوت حسناته وسيئاته أقرب ، والله أعلم .



(١) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق الألباني ( ص ٢٣٢ ) .

(٢) النهاية في الفتن والملاحم ( ٢ / ٢٠٤ ) .

(٣) لوامع الأنوار البهية ( ٢ / ٢١٢ ) .

## المبحث الثالث

## الشفاعة العامة

فالقصد من العموم أن الله - عز وجل - يأذن لمن شاء من عباده الصالحين أن يشفعوا لمن أذن الله لهم بالشفاعة فيهم ، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي - ﷺ - ، ولغيره من النبيين والملائكة والصديقين والشهداء ، والصالحين ، وهي أن يشفع من أذن له بالشفاعة في أهل النار من عصاة المؤمنين أن يخرجوا منها .

## المطلب الأول

## الشفاعة لأهل الكبائر من أهل التوحيد في الخروج من النار

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإخراجهم من النار بشفاعة النبي - ﷺ - والملائكة ، وإخوانهم من المؤمنين ، ويخرج الله تعالى كل من قال : لا إله إلا الله فلا يبقى في النار إلا الكافرون ، وسنكتفي بذكر بعض الأدلة على ثبوت هذا النوع من الشفاعة وسنفصل القول فيما بعد في مكانه بذكر الأدلة كاملاً وأقوال السلف وأئمة المسلمين في ذلك ، فمن الأدلة على ثبوت هذا النوع من الشفاعة ما ثبت في الصحيحين .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كلم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد - ﷺ - فيأتوني فأقول : أنا لها فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمدة بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيقال يا



ارفع رأسك سل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمد ربّي بتحميد يعلمني ، ثم أشفع فيحد لي حدا ثم أخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ، وكان قتادة يقول عند هذا أي وجب عليه الخلود « (١) .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد - صلى الله عليه وسلم - فيدخلون الجنة يُسمون الجهنميين » (٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً ، أذن بالشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل ، فقال رجلٌ من القوم كأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كان في البادية » (٣) .

فهذا النوع من الشفاعة لا يختص بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ، بل هي عامة له - صلى الله عليه وسلم - ولغيره من عباد الله تعالى كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً (٤) ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو المقدم فيها ، فلا يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإنه يشفع في خلائق لا يعلم عدتهم إلى الله تعالى ، وذلك كما مر معنا في بعض الأحاديث وكذلك ما سيأتي منها يوضح ويثبت ذلك في حقه - صلى الله عليه وسلم - تشريفاً وتكريماً .

**قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين**

(١) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ( ٨ / ١٤٤ - ١٤٥ ) ح ٦٥٦٥ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ( ١ / ١٨٠ - ١٨١ ) ح ١٩٣ واللفظ للبخاري .  
(٢) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ( ٨ / ١٤٥ ) ح ٦٥٦٦ ، وأحمد في مسنده ( ٤ / ٤٣٤ ) .

(٣) سبق تخريج الحديث ص ٨٧ .

(٤) في فصل شفاعة غير الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

أحد ، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فادخلوا الجنة <sup>(١)</sup> .  
 فخروج الموحدين من النار سواء من أصحاب الصغائر أو الكبائر دون الشرك هو  
 قول أهل السنة والجماعة ثابت بآيات وأحاديث عدة مشهورة ، وذلك في حالة عدم  
 استحلاله للكبيرة ، أما إذا استحلها فيخرج من الإسلام بسبب تحليله ما حرم الله - عز  
 وجل - وحرمة النبي - ﷺ - في سنته .

**قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -** : « والإيمان بأن الموحدين يخرجون من  
 النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي - ﷺ - » <sup>(٢)</sup> .



(١) الرابيل الصيب - تحقيق / بشير محمد عيون ( ص ٣٤ ) مكتبة دار البيان - دمشق - سوريا ، ودار  
 المؤيد الطائف - السعودية - ط بدون .

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ( ٢ / ٢١٤ ) .

## المطلب الثاني

## الشفاعة للأهل والأقارب

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ، ثم الأقرب فالأقرب من قريش ، ثم الأنصار ، ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ، ثم سائر العرب ، ثم الأعاجم ، وأول من أشفع له أولو الفضل » (١) .  
وقال - صلى الله عليه وسلم : « أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف » (٢) .  
وعن أبي أمامة (٣) - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربعة ومضر » (٤) .  
وعن أبي برزة (٥) الأسلمي - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن

- (١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ( ١٢ / ٤٢١ ) برقم ( ١٣٥٥٠ ) - وقال الإمام الهيثمي : رواه الطبراني في المعجم الكبير وفيه من لم أعرفه - انظر مجمع الزوائد ( ١٠ / ٣٨٠ - ٣٨١ ) ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ( ٧٣٢ ) .  
(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٠ / ٣٨١ ) وقال : رواه البزار والطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم ، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ( ٦٨٢ ) .  
(٣) هو الصحابي الجليل : صُدَي بن عجلان بن الحارث بن وهب الباهلي ، أبو أمامة ، قيل إنه شهد أحداً وشهد صفين مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ثم سكن الشام حتى توفي بها سنة ٨٦ هـ ، انظر الإصابة ( ٢ / ١٨٢ ) ترجمة رقم / ٤٠٥٩ ، أسد الغابة ( ٦ / ١٩ ) ترجمة رقم / ٥٦٨٨ ، سير أعلام النبلاء ( ٣ / ٣٥٩ وما بعدها ) ، تقريب التهذيب ( ١ / ٤٣٧ ) رقم / ٢٩٣٤ .  
(٤) رواه أحمد في مسنده ( ٥ / ٢٥٧ - ٢٦١ - ٢٦٧ ) وقال المنذري رواه أحمد بإسناد جيد ( انظر الترغيب والترهيب ( ٤ / ٤٤٥ ) فصل في الشفاعة وغيرها ، والطبراني ( ٨ / ١٤٣ ) ح ٧٦٣٨ . وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد ، ورجال أحمد واحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة - انظر مجمع الزوائد ( ١٠ / ٣٨١ ) . والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني - رحمه الله - برقم ( ٥٣٦٣ ) ، وذكره الشيخ مقبل الوادعي في كتابه : الشفاعة ( ص ١٧١ ) وقال : والطريقان يكفيان في ثبوت الحديث .  
(٥) هو الصحابي : أبو برزة - نضلة بن عبيد - وقيل نضلة بن عبد الله الأسلمي ، نزل البصرة ثم مرو ثم عاد إلى البصرة وبها توفي سنة ٦٥ هـ وقيل ٦٥ هـ على الصحيح ، انظر : أسد الغابة ( ٦ / ٣٤ ، ٣٥ ) ترجمة رقم / ٥٧١٩ ، سير أعلام النبلاء ( ٣ / ٤٠ وما بعدها ) ، تقريب التهذيب ( ٢ / ٢٤٧ ) رقم / ٧١٧٧ .

من أمتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر ، وإن من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها ،<sup>(١)</sup> .

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مضر ، ويشفع الرجل في أهل بيته ويشفع على قدر عمله »<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن من أمتي من يشفع للفئام<sup>(٣)</sup> ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعصبة ، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة »<sup>(٤)</sup> .

وفي لفظ أحمد : « وإن الرجل يشفع للثلاثة وللرجلين وللرجل »<sup>(٥)</sup> .

- (١) رواه أحمد في مسنده ( ٤ / ٢١٢ ، ٥ / ٣١٣ ) واللفظ له . وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله ثقات ، انظر مجمع الزوائد ( ١٠ / ٣٨١ ) ، والبخاري في التاريخ ( ٢ / ٢٦١ ) كنز العمال ( ١٥٨ / ١٢ ) ، ح ٣٤٤٧١ ، وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب صفة النار ( ٢ / ١٤٤٦ ) ح ٤٣٢٣ ، وفي الزوائد : في إسناده عبد الله بن أقيش النخعي ، ذكره ابن حبان في الثقات . وقال : أحسبه الذي روى عنه أبو أسحاق عن ابن عباس . وقال : لم يرو عنه غير داود بن أبي هند ، وليس إسناده بالصافي . والحاكم في مستدركه ( ١ / ١٤٢ ) ح ٢٣٨ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وضعفه الألباني : انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ( ٥ / ١٤٠ ) برقم ٢١٢١ ، وضعيف الجامع رقم ( ٢٠٠٠ ) ، وقال الشيخ مقبل : فقول الحاكم صحيح على شرط مسلم .. وقول الحافظ في الإصابة إن سنده صحيح ، ليس بصحيح ، بل هو حديث ضعيف ، والله أعلم . انظر : الشفاعة ص ١٧١ .
- (٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٠ / ٣٨١-٣٨٢ ) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي غالب وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف .
- (٣) الفئام : الجماعة الكثيرة - انظر : النهاية في غريب الحديث والاثر ( ٣ / ٤٠٦ ) .
- (٤) رواه أحمد في مسنده ( ٣ / ٢٠-٦٣ ) والترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٢ منه ( ٤ / ٥٤١ ) ح ٢٤٤٠ وقال : هذا حديث حسن ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ( ٢ / ٦٣٦ ) ، وكنز العمال ( ١٥٨ / ١٢ ) ح ٣٤٤٧٢ ، ومشكاة المصابيح ( ٣ / ١٥٥٨ ) ح ٥٦٠٢ ، وقال الألباني : إسناده ضعيف ، وحسنه : الشيخ مقبل . الشفاعة ص ١٦٨ ( ولعله حسنه بمجموع طرقه ) . وذكر الهيثمي نحو هذا وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح : ( وإن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة .. ) انظر مجمع الزوائد ( ١٠ / ٣٨٢ ) .
- (٥) رواه أحمد في مسنده ( ٣ / ٢٠ ) .

وقال - ﷺ - : « ويشفع الرجل منهم للرجال من أهل بيته ، فيدخلون الجنة بشفاعته » (١) .

وخلاصة القول في هذا الفصل أن الشفاعة يوم القيامة تتكرر مراراً وتفاوتت على حسب درجة الشافع أو المشفوع له فمنها :

### [ أ ] المتفق على خصوصيتها للنبي - ﷺ - :

كالشفاعة العظمى وهي لأهل الموقف جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، وهي الشفاعة لفصل القضاء ، والشفاعة لأهل الجنة ليدخلوها وهو عبارة عن الإذن من الله - عز وجل - في استفتاح باب الجنة لأهلها ، والشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، وشفاعة الرسول - ﷺ - لعمه أبي طالب خاصة دون سائر الكفار ، ومنها خصوصيته - ﷺ - في تأجيل الدعوة لأمته إلى يوم القيامة .

### [ ب ] ومنها المختلف في خصوصيتها به - ﷺ - دون غيره :

كالشفاعة لقوم استوجبوا النار بأعمالهم فلا يدخلونها ، والشفاعة في رفع درجات أهل الجنة ، والشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم .

### [ ج ] ومنها العامة له - ﷺ - ولغيره من الأنبياء والملائكة والصالحين ،

والأعمال الصالحة ، كالشفاعة للأهل والأقرباء ، والشفاعة في أهل الكبائر .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - : « إرضاء الله تعالى نبيه محمداً - ﷺ -

في الشفاعة يوم القيامة مرة بعد أخرى حتى يقر بأنه قد رضي بما قد أعطى في أمته من الشفاعة » (٢) .

وقال القاضي عياض - رحمه الله - : « فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه

الأثار أن شفاعته - ﷺ - ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها ، من حين يجتمع الناس للحشر ، وتضيق بهم الحناجر ، ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف

(١) رواه أحمد في مسنده (٦٣/٣) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٧٤٧/٢) عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٦٧٢ / ٢) .

مبلغه (١) ، وذلك قبل الحساب ، فيشفع حينئذ لإراحة الناس في الموقف ، ثم يوضع الصراط ، وينحاسب الناس ..... فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة ، ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ، ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ، ثم فيمن قال : لا إله إلا الله ، (٢) .

والشفاعة لا تكون من الشافع إلا في الوقت الذي يأذن الله تعالى فيه بالشفاعة لا قبل ذلك ، فبعضهم يأذن الله له في الشفاعة بعد الحساب مباشرة ، وبعضهم يكون الإذن في الشفاعة له بعد مدة من العذاب ، وبعضهم بعد مدة من العذاب أطول . والله تعالى أعلم .



(١) مبلغه : نهايته .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ( ١ / ٣٠١ ) .

obeikandi.com

# الفصل الثاني

شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيد :

المبحث الأول : الكبيرة لغةً وشرعاً ، وفيه مطلبان :

■ المطلب الأول : الكبيرة لغة .

■ المطلب الثاني : الكبيرة في الاصطلاح الشرعي .

المبحث الثاني : حكم أهل الكبائر ، وفيه أربعة مطالب :

■ المطلب الأول : حكم أهل الكبائر عند أهل السنة والجماعة .

■ المطلب الثاني : حكم أهل الكبائر عند الخوارج .

■ المطلب الثالث : حكم أهل الكبائر عند المعتزلة .

■ المطلب الرابع : حكم أهل الكبائر عند المرجئة .

المبحث الثالث : الشفاعة في الكبائر ، وفيه مطلبان :

■ المطلب الأول : ثبوت شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر .

■ المطلب الثاني : الكبائر المأذون بالشفاعة فيها .

obeikandi.com

## الفصل الثاني

شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته

### تمهيد :

من حكمة الله - عز وجل - أن خلق الإنسان ناقص الكمال ، ومن ذلك عدم العصمة إلا ما ورد في ذلك للأنبياء ، فقد يرتكب العبد الذنوب والمعاصي سواء كبيرة أو صغيرة ، فلا يسلم أحد منها ، فجعل الله - عز وجل - أبواباً لإخراج العبد المسلم العاصي من ذنوبه وآثامه وجعل مكفرات لها منها :  
التوبة ، والاستغفار ، وفعل الحسنات ، والأذى الذي يصاب به المؤمن في نفسه .  
وماله وأهله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله ، فيغفر لهم » (١) .  
فمن هذا الحديث تظهر الحكمة وهي : معرفة العبد افتقاره إلى ربه - عز وجل - عند ارتكابه للذنوب والمعاصي ، وإظهار رحمة الله - عز وجل - بعباده في قبول المغفرة وتكفير السيئات عند الرجوع إليه والمعصية هي بداية الطريق إلى النار والعياذ بالله - ولذلك فإن التوبة على الله - تعالى - تقتضي أقصى غايات الإقلاع عن الذنب ، والاعتذار إلى الله - تعالى - والاعتصام بالصراط المستقيم .  
قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « إن حقيقة التوبة هي الندم على ما سلف ، والإقلاع عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل » (٢) .

(١) رواه مسلم : كتاب التوبة ، باب سقوط الذنوب بالاستغفار ، توبة ( ٤ / ٢١٠٦ ) ح ٢٧٤٩ ، واحمد في مسنده ( ٣٠٩ / ٢ ) .  
(٢) مدارج السالكين ( ١ / ١٨٢ ) .

فالتوبة فرض دائم على كل مسلم على قدر استطاعته لقوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : « والله إنني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » <sup>(١)</sup> .

والتوبة لا يلزم أن تكون من ذنب معين فأصلها هو الرجوع إلى الله تعالى ، وهذا يتضمن الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بأمره والاهتداء بهديه .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « فإن حقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره » <sup>(٢)</sup> .

فخطورة الذنوب كلها كبيرها وصغيرها ثابت بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأنعام : ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور : ٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الاحزاب : ٣٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ ، قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » <sup>(٣)</sup> .

فهذه نصوص عامة تدل على أن المعاصي شأنها كبير كلها ، وذلك لأنها ما بين إثم ، وظلم ، وفاحشة ، وفسق ، وضلال ، وكفر ، ولذلك فالمعصية أياً كان نوعها توجب الخوف والحذر من أن تكون سبباً للوقوع في الفتنة ، أو الوقوع في عذاب

(١) رواه البخاري : كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة ( ٨ / ٨٣ ) ح ٦٣٠٧ ، وأحمد في مسنده ( ٢ / ٣٤١ ) وغيرهما .

(٢) مدارج السالكين ( ١ / ٣٠٥ )

(٣) رواه البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ( ٩ /

١١٤ ) ح ٧٢٨٠ ، وأحمد في مسنده ( ٢ / ٣٦١ ) وغيرهما .

أليم كما ذكر الله تعالى ، وذكر النبي - ﷺ - .

فالمعصية تضر صاحبها بغض النظر عن كبرها أو صغرها ، ولكن يكون الضرر تبعاً لكبر المعصية ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [ الزلزلة : ٧-٨ ] .

فالحذر من التهاون في فعل الصغائر أمر مطلوب من العبد ، فالاستصغار للذنوب والإقدام عليه ذنب عظيم في غاية الكبر ، لانه من جهة الاعتقاد مخالف لاصول الإسلام ، ومن جهة العمل هو بداية الطريق إلى عظيمنتين :  
**الأولى** : الإصرار على المعصية وهذا من الكبائر .

**الثاني** : الاستخفاف بأحكام الشريعة ، وهذا يصل إلى درجة الكفر في كثير من الأحيان ، والعياذ بالله تعالى .

والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر ، ولكن لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ، لقوله - ﷺ - : «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه » (١) .

قال الإمام الصنعائي - رحمه الله - : «وجه الدلالة أن مُحقرات الذنوب إن كانت من الكبائر فالواحدة مهلكة فيضيع مقصود الحديث، وإن كانت صغائر فلا يمكن اجتماعها لأنها مغفورة البتة بحسب اجتناب الكبائر، وإن كان مع الإصرار فلا

(١) رواه أحمد في مسنده ( ٤٠٢ / ١ ) ، ( ٣٣١ / ٥ ) ( ٧٠ / ٦ ) ، ( ١٥١ ) ، والبيهقي في شعب الإيمان ( ٤٥٦ / ٥ ) ٧٢٦٧ تحقيق / محمد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى ( ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ) ، شرح السنّة للبخاري - تحقيق / شعيب الارنؤوط ( ١٤ / ٣٩٩ ) ح ٤٢٠٣ الكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - ط الثانية ( ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ) ، والطبراني في الأوسط ( ٢١٩ / ٧ ) ح ٧٢٢٣ ، من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٩٠ / ١٠ ) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة . وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ١ / ٦٧٤ ) برقم / ٣٨٩ ، وقال وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين .

صغيرة مع الإصرار على ما رُوي<sup>(١)</sup> وهو وفق كلام المتكلمين فيكون معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفْرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] .

نحو قوله - ﷺ - : ( سَدَدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشَرُوا )<sup>(٢)</sup> .

وتكون الحكمة في عدم تمييز الصغائر من الكبائر إرادة اجتناب كل منهما ،  
والتحفظ عن العصيان رأساً بقيد الطاقة البشرية شبيهة بالحكمة في إخفاء ليلة القدر  
في رمضان .. »<sup>(٣)</sup> .



(١) كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن الكبائر سبع هي ؟ ، قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار . انظر جامع البيان للطبري ( ٤ / ٤٤ ) برقم / ٩٢٠٨ ، والدر المنثور للسيوطي ( ٢ / ٥٠٠ ) .

(٢) رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل ( ٨ / ١٢٣ ) ح ٦٤٦٧ ، ومسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى ( ٤ / ٢١٧١ ) ح ٢٨١٨ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة - تحقيق / حلاق ( ٤٨٧ - ٤٨٨ ) .

## المبحث الأول

## الكبيرة لغة واصطلاحاً

## المطلب الأول

## الكبيرة لغة

الكِبْرُ : الإثم الكبير ، وما توعد الله عليه النار .

والكِبْرَةُ كالكِبْرِ : التانيث على المبالغة .

وفي التنزيل العزيز: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ ﴾ [النجم: ٣٢] .

وفي الاحاديث ذكر الكبائر في غير موضع ، واحدتها كبيرة ، وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً لعظيم أمرها ، كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغيرها<sup>(١)</sup> ، والكبيرة : متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته والجمع الكبائر<sup>(٢)</sup>



(١) لسان العرب لابن منظور (٥ / ١٢٩)

(٢) المفردات في غريب القرآن للاصفهاني (ص ٤٢١) ، كتاب الكاف .

## المطلب الثاني

## الكبيرة في الاصطلاح الشرعي

اختلف العلماء في تعريفها فبعضهم يعبر عن جانب منها من خلال الاستدلال ببعض النصوص دون بقيتها ، وحاول البعض الآخر أن يأتي بتعريف شامل ، فقالوا في ذلك ما يلي :

[ ١ ] الكبيرة هي : الموجبة للحد ، وقيل ما يلحق الوعيد بصاحبه بنص كتاب أو سنة<sup>(١)</sup> .

[ ٢ ] وقيل : هي ما وجبت فيه الحدود ، أو توجه إليها الوعيد<sup>(٢)</sup> .

[ ٣ ] وقيل : هي كل معصية أوجبت الحد<sup>(٣)</sup> .

[ ٤ ] وقيل هي كل ذنب أوعد فاعله بالنار<sup>(٤)</sup> .

[ ٥ ] وقال الإمام الغزالي<sup>(٥)</sup> - رحمه الله - : « هي كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف ووجدان ندم ، تهاوناً واستجراء عليها فهي كبيرة ، وما يحمل على فلتات النفس ولا ينفك عن ندم يمتزج بها وينغص التلذذ بها فليس

(١) قول الإمام الرافي في كتابه الشرح الكبير ، انظر : فتح الباري لابن حجر ( ٤٢٤ / ١٠ ) .

(٢) قول الإمام الماوردي في كتابه الحاوي ، انظر : فتح الباري لابن حجر ( ٤٢٤ / ١٠ ) .

(٣) قول الإمام البغوي ، انظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر / لابن حجر الهيتمي ( ٦ / ١ ) دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط بدون .

(٤) قول الحسن البصري ، وابن جبير ، ومجاهد ، والضحاك . انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر ( ١ / ٧ ) .

(٥) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي ، برع في الفقه وأصوله وعلم الكلام وغير ذلك وله مصنفات فيها ، ولد سنة ٤٥٠ هـ ( بطوس في خراسان وتوفي سنة ٥٠٥ هـ ، وقد كان منتصباً إلى الأشعرية في طريقتة الكلامية ، له مصنفات عدة ، منها : ( إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، الاقتصاد في الاعتقاد ، المنقذ من الضلال ) وغير ذلك . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي ( ٦ / ١٩١ وما بعدها ) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١٩ / ٣٢٢ وما بعدها ) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان ( ٤ / ٢١٦-٢١٩ ) ، تبين كذب المفتري / لابن عساكر ( ص ٢٩١-٣٠٦ ) ، الأعلام / للزركلي ( ٧ / ٢٢ ) .

بكبيرة» (١) .

واعترض على هذا التعريف ، لأنه يشمل صفات وليست بكبائر ، وكذلك يرد على هذا التعريف أن من ارتكب كبيرة من الكبائر ، المنصوص عليها كالزنا مثلاً لا يشملها التعريف إن صَاحَبَ فعله الخوف أو الندم .

[ ٦ ] وذكر الإمام الطبري في تفسيره تعريف الكبائر عدأً استناداً إلى ما ذكر من أحاديث النبي - ﷺ - بقوله : « وأولى ما قيل في تأويل الكبائر بالصحة ، ما صح به الخبر عن رسول الله - ﷺ - دون ما قاله غيره ، ... ، فالكبائر إذاً : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين .. » (٢) .

[ ٧ ] وعرفها إمام الحرمين بقوله : « كل جريمة تؤذن بقله اكترات مرتكبها بالدين ورفاقه الديانة » (٣) .

[ ٨ ] وقال العزبن عبد السلام - رحمه الله - : « إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاصد الكبائر المنصوص عليها ، فإن نقصت عن أقل مفاصد الكبائر فهي من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاصد الكبائر أو أربت عليها فهي من الكبائر » (٤) .

[ ٩ ] وقيل : « والتحقيق أن الكبيرة كل ذنب قرن به وعيد أو لعن بنص كتاب أو سنة أو علم مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو حد أو لعن أو أكثر من مفسدته ، أو أشعرتهاون مرتكبه في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها بذلك » (٥) .

[ ١٠ ] وقيل : « كل محرم لعينه منهي عنه لمعنى في نفسه » (٦) .

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ( ١ / ٧ ) .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ( ٤ / ٤٦ ) عند تفسير سورة النساء آية / ٣١ .

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ( ص ٣٢٩ ) .

(٤) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعزبن عبد السلام ( ١ / ٢٠ ) - مؤسسة الريان - بيروت - لبنان -

ط بدون ( ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م )

(٥) نقلاً عن الزواجر عن اقتراف الكبائر ( ١ / ٩ ) .

(٦) فتح الباري لابن حجر : كتاب الادب ( ١٠ / ٤٢٤ ) .

[ ١١ ] وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقد اختلفوا في ضبطها اختلافاً كثيراً منتشراً جداً ، فروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « الكبائر كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب » ونحو هذا عن الحسن البصري . »

وقال ابن الصلاح <sup>(١)</sup> : « لها أمارات منها : إيجاب الحد ، ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها من الكتاب أو السنة ، ومنها وصف فاعلها بالفسق نصاً ، ومنها اللعن » <sup>(٢)</sup> .

[ ١٢ ] وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « والصحيح إن شاء الله تعالى أن كل ذنب أطلق الشرع عليه أنه كبير أو عظيم ، أو أخبر بشدة العقاب عليه ، أو علق عليه حدّاً ، أو شدّد النكير عليه وغلّظه ، وشهد بذلك كتابُ الله أو سنة أو إجماع ، فهو كبيرة » <sup>(٣)</sup> .

[ ١٣ ] وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « قال ابن عباس : الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : الكبائر ما نهى الله عنه في هذه السورة <sup>(٤)</sup> إلى ثلاث وثلاثين آية . وقال سعيد <sup>(٥)</sup> بن جبير :

(١) هو أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر النصري الشهر زوري الكردي الشرخاني تقي الدين ، المعروف بابن الصلاح : أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقهاء وأسماء الرجال ، ولد في شرخان (قرب شهر زور) سنة ٥٧٧ هـ ، وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان ثم إلى بيت المقدس ثم إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٦٤٣ هـ ، له مصنفات ، منها (مقدمة ابن الصلاح ، والفتاوى) وغير ذلك . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان (٣/ ٢٤٣-٢٤٥) ، سير أعلام النبلاء (للذهبي ٢٣/ ١٤٠) ، شذرات الذهب / لابن العماد (ج ٥/ ٢٢١) المجلد الثالث ، الأعلام / للزركلي (٤ / ٢٠٧) .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم (ج ٢ / ٨٥) المجلد الأول .

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - تحقيق / محي الدين مستو وآخرون (١ / ٢٨٤) .

(٤) يُقصد بها سورة النساء .

(٥) سعيد بن جبير الأسدي ، بالولاء ، الكوفي ، أبو عبد الله : تابعي ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ، ولد سنة ٤٥ هـ قتل على يد الحجاج سنة ٩٥ هـ ، قال أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ٤ / ٣٢١ ) وما بعدها ، تقريب التهذيب / لابن حجر ( ٣ / ٣٤٩ ) برقم ٢٢٨٥ ، الأعلام / للزركلي ( ٣ / ٩٣ ) .

كل ذنب نسبته الله إلى النار هو كبيرة وقال جماعة من أهل الأصول : الكبائر كل ذنب رتب الله عليه الحدّ أو صرح بالوعيد فيه (١) .

[ ١٤ ] وقال شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « الكبيرة هي : ما يترتب عليها حدّ أو تُوعَدُ عليها بالنار ، أو اللعنة ، أو الغضب ، والصغيرة هي : ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة » (٢) .

وما ذكرنا عن الإمام النووي والقرطبي وابن الصلاح وابن أبي العز الحنفي والشوكاني هو يعتبر من أشهر التعريفات ، وأجمعها وأشهرها تعريفاً هو تعريف الإمام القرطبي رحمه الله ، كما ذكره الإمام الحافظ ابن حجر وقال : « من أحسن التعاريف » (٣) وذكره الإمام الذهبي (٤) كذلك (٥) .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن قيمية - رحمه الله - : أن هذه التعريفات المشهورة المتقاربة اللفظ والمعنى صائبة لعدة اعتبارات من أهمها :

[ ١ ] أنها تشمل كل ما ثبت في النصوص أنه كبيرة كالشرك ، والقتل ، والزنا ، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وغير ذلك من الكبائر التي فيها

(١) فتح القدير ( ١ / ٥٧٧ ) تفسير سورة النساء آية / ٣١ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - بتحقيق الألباني - رحمه الله - ( ص ٣٧٠ - ٣٧١ ) .

(٣) فتح الباري لابن حجر : كتاب الحدود ، باب رمي المحصنات ( ٢١ / ١٩١ ) .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله : حافظ ، مؤرخ ، علامة محقق تركماني الأصل ، من أهل ميفارقين ، مولده في دمشق سنة ٦٧٣هـ رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان ، وكفّ بصره سنة ٧٤١هـ . تصانيفه كبيرة وكثيرة تقارب المئة ، توفي بدمشق سنة ٧٤٨هـ ، من مصنفاته : ( تاريخ الإسلام ٣٦ مجلداً ، سير أعلام النبلاء ٢٥ مجلداً ، تذكرة الحفاظ ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، كتاب الكبائر ) وغير ذلك . انظر فوات الوفيات / محمد بن شاكر الكتبي - تحقيق : إحسان عباس ( ٣ / ٣١٥-٣١٧ ) ، ديوان الإسلام / لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الفزري - تحقيق سيد كسروي حسن ( ٢ / ٣٠٩-٣١١ ) برقم ٩٧٠ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى ( ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ) ، الاعلام / للزركلي ( ٥ / ٣٢٦ ) .

(٥) كتاب الكبائر للإمام الذهبي - تحقيق / محي الدين مستو ( ص ١٩ ) . مؤسسة علوم القرآن - دمشق -

سوريا ، وبيروت - لبنان ، مكتبة دار التراث - المدينة المنورة - السعودية - ط الأولى ( ١٤٠٤هـ -

١٩٨٤م ) .

عقوبات مقدرة، ويشمل أيضاً ما ورد فيه الوعيد كالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين ، واليمين الغموس وشهادة الزور، ويشمل كل ذنب توعد صاحبه بأنه لا يدخل الجنة وما قيل فيه من فعله فليس منا، وما ورد من نفي الإيمان عمّن ارتكبه كقوله - ﷺ - : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» (١) فكل من نفى الله عنه الإيمان والجنة أو كونه من المؤمنين فهو من أهل الكبائر، لأن هذا النفي لا يكون لترك مستحب ، ولا لفعل صغيرة ، بل لفعل كبيرة .

[ ٢ ] أنه الماثور عن السلف من الصحابة والتابعين والأئمة ( كابن عباس ، وابن عيينه (٢) ، وابن حنبل ) وغيرهم .

[ ٣ ] أن المستحق للحد له ذنب يستحق العقوبة عليه .

[ ٤ ] أن مرجعه إلى ما ذكره الله - عز وجل - ورسوله - ﷺ - في الذنوب ، فهو

حد يتلقى من خطاب الشارع

[ ٥ ] أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر .

[ ٦ ] أن الله تعالى قال : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ

وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا (٣١) ﴾ [ النساء : ٣١ ] ، فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير

(١) رواه البخاري : كتاب المظالم والغصب ، باب النهي بغير إذن صاحبه ( ١٧٨ / ٣ ) ح ٢٤٧٥ ، كتاب الأشربة ، الباب الأول ( ١٣٦ / ٧ ) ح ٥٥٧٨ ، وكتاب : الحدود ، باب لا يشرب الخمر ، والسارق حين يسرق ( ١٩٥ / ٨ - ١٩٧ ) ح ٦٧٧٢ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب نقصان الإيمان بالمعاصي ( ٧٦ / ١ ) ح ٥٧ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) هو أبو محمد سفيان بن عيينه بن ميمون الهلالي الكوفي ، محدث الحرم المكي ، من الموالى ، من تابعي التابعين ، ولد بالكوفة عام ١٠٧ هـ ، وسكن البادية وتوفي بها ، كان حافظاً ، فقيهاً ، واسع العلم ، كبير القدر ، محدث الحرم ، قال الشافعي : (( لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز )) له : ( الجامع في الحديث ، وكتاب في التفسير ) توفي عام ١٩٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ٨ / ٤٥٤ وما بعدها ) ، غربال الزمان في وفيات الأعيان / ليحيى بن أبي بكر العامري الحرصي اليماني . صححه وعلق عليه : محمد ناجي زعبي العمر ( ص ١٨٥ ) - دار الخير للنشر والتوزيع - دمشق - سوريا - ط بدون ( ١٤٥٥ هـ - ١٩٨٥ م ) ، تقريب التهذيب / لابن حجر ( ١ / ٣٧١ ) برقم / ٢٤٥٨ ، الأعلام / للزركلي ( ٣ / ١٠٥ ) .

السيئات ، واستحقاق الوعد الكريم . وكل من وعد بغضب الله أو لعنته ، أو نار أو حرمان جنة ، أو ما يقتضي ذلك ، فإنه خارج عن هذا الوعد ، فلا يكون من مجتنب الكبائر .

وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد ولم يُقم عليه الحد ، لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناّب الكبائر . إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه ، والمستحق أن يقام عليه الحد له ذنب يستحق العقوبة عليه (١) .

« ومن تتبع الذنوب التي أطلق عليها أنها كبائر وجدها أكثر من السبعين ، فكيف إذا تتبع جميع ما جاء عليه الوعيد الشديد في الكتاب والسنة من اتباعه بلعنة أو غضب أو عذاب أو محاربة أو غير ذلك من ألفاظ الوعيد فإنه يجدها كثيرة جداً » (٢) .



(١) مجموع الفتاوى ( ٦٥١/١١ - ٦٥٥ ) بتصرف واختصار ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق

الألباني - رحمه الله - ( ص ٣٧١ ) .

(٢) انظر : أعلام السنة المنشورة لحافظ بن أحمد حكيم ( ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ) .

## المبحث الثاني حكم أهل الكبائر

وقع النزاع بين الفرق في الحكم على أهل الكبائر ، هل يستحقون أن يوصفوا بالإيمان المطلق أو بعض منه أو الكفر أو بين ذلك ، وذلك راجع إلى أن مسائل الإيمان التي وقع النزاع فيها بين الفرق ، وهي تعريف الإيمان وحده ومن ثم دخول الأعمال فيه وعدمه ، وزيادة الإيمان ونقصانه ، وحكم أهل الكبائر ، ومسألة الاستثناء في الإيمان وعدمه ترجع إلى أصل واحد هو .

هل الإيمان حقيقة واحدة أو شيء واحد أو أنه يتبعض ويتجزأ .

**فقالت الخوارج والمعتزلة :** إن الإيمان حقيقة واحدة فإذا ذهب بعضه ذهب باقي الإيمان . ولهذا أوجبوا ذهاب الإيمان عن مرتكب الكبيرة ، والقول بعدم زيادته ونقصانه في هذه الحالة .

**وضدهم فرق المرجئة :** ومنهم الجهمية الذين يُسمون غلاة المرجئة ، جعلوا الإيمان شيئاً واحداً لا يتبعض وهو مجرد المعرفة أو التصديق بالقلب كقول الجهمية ، أو تصديق القلب واللسان كقول المرجئة سوى الجهمية .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :** « وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه .

فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه كما قال النبي ﷺ : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان ... » (١) .

(١) مجموع الفتاوى ( ٧ / ٥١٠ ) ، ومنهاج السنة ( ٥ / ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ) بتحقيق / محمد رشاد سالم ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة - مصر - ط الثانية ( ١٤٠٩ هـ ) ، وانظر نحوه : مقالات الإسلاميين / للأشعري ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ( ١ / ٢١٤ ) المكتبة العصرية - بيروت - لبنان - ط بدون ( ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م ) .

أما أهل السنة والجماعة فيقولون حيث نقص الإيمان يحكم عليه ،

[ ١ ] فمنه ما إذا زال بعضه زال الإيمان كله كأصول الإيمان : من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره واليوم الآخر، وما هو معلوم من الدين بالضرورة .

[ ٢ ] ومنه ما إذا زال بعضه زال كمال الإيمان لا أصله وحقيقته ، مثال زوال شعب الإيمان الأخرى التي دون الأصول السابقة ، وقد ورد في ذلك أدلة كثيرة تبين نقص الإيمان وزيادته كقوله تعالى : ﴿ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [ الفتح : ٤ ] ، ﴿ وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [ المدثر : ٣١ ] ، وأهل السنة كانوا أسعد الناس بمرافقة النصوص ، لأنهم داروا مع النص، وسلموا وأذعنوا لما فيه وعملوا بجميع الأدلة من الكتاب والسنة ، حيث وفقوا بين ما قد يظهر منها التعارض ، بخلاف أهل الأهواء والبدع الذين أخذوا من النصوص ما يوافق مذاهبهم وردوا ما يعارضها بنفي أو تأويل .

وما يلي من مطالب سيكون توضيحاً لحكم أهل الكبائر عند كل طائفة أو فرقة على إنفراد .



## المطلب الأول

## حكم أهل الكبائر عند أهل السنة والجماعة

لمعرفة مذهب أهل السنة والجماعة في أهل الكبائر لابد أن نذكر شيئاً من الأدلة المنصوص عليها ، ومن أقوال أئمة السلف في ذلك .

فقد تواترت النصوص الدالة على الحكم في أهل الكبائر ، بعدم كفرهم وعدم خلودهم في نار جهنم إذا دخلوها بسبب معاصيهم وذلك في حالة عدم الاستحلال للذنب سواء كان كبيراً أو صغيراً . وهذا يعتبر من الأصول المجمع عليها عند أهل السنة والجماعة فمن ذلك :

**الأول : نصوص تدل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة :**

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [ النساء :

٤٨ ] .

فهذه الآية أظهر الأدلة من القرآن على قول السلف وأقواها في إثبات أن ما دون الشرك من الذنوب تحت المشيئة .

**قال ابن جرير- رحمه الله :-** « وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي

مشيئة الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه عليه ، مالم تكن كبيرته شركاً بالله » (١) .

وذكر في كتابه التبصير قول أهل السنة والجماعة في الحكم على أهل الكبائر

قولهم : « هم مؤمنون غير أنهم لما ركبوا من معاصي الله فاجتروا الذنوب في مشيئة

الله إن شاء عفا عنهم بفضلهم فأدخلهم الجنة ، وإن شاء عاقبهم بذنوبهم ، فإنه يعاقبهم

بقدر الذنب ثم يُخرجهم من النار بعد التمهيص فيدخلهم الجنة » (٢) .

(١) جامع البيان في تاوليل القرآن ( ٤ / ١٢٩ ) تفسير سورة النساء / ٤٨ .

(٢) التبصير في معالم الدين / لابن جرير - تحقيق / علي بن عبد العزيز الشبل ( ص ١٨٠ ) - دار

العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - ط الأولى ( ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ) .

وقال الإمام الشوكاني - رحمه الله - : « وظاهره أن المغفرة منه سبحانه تكون لمن اقتضته مشيئته تفضلاً منه ورحمة وإن لم يقع من ذلك المذنب توبة » (١) .

فمن مات مشركاً لم يتب منه استحق الخلود في نار جهنم ، ومن تاب قبل موته فإن الله غفورٌ رحيم . لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [ الأنفال : ٣٨ ] .

وقال - ﷺ - لعاذر رضي الله عنه : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله - عز وجل - أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » (٢) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه (٣) قال : قال - ﷺ - : يقول الله - عز وجل - : « ..... ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً ، لقيتُهُ بمثلها مغفرة » (٤) .

( فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض ، وهو ملؤها أو ما يقارب خطايا لقيه الله - عز وجل - بقرابها مغفرة ، لكن هذا مع مشيئة الله - عز وجل - فإن شاء غفر له ، وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة ) (٥) .

**ثانياً : نصوص فيها التصريح بعدم دخول الموحد النار أو خلوده فيها - إن دخل - مع تصريحها بارتكابه الكبائر ، منها :**

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - أنه قال : « أتاني جبريل عليه السلام ، فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ ، قال

(١) فتح القدير ( ١ / ٦٠٠ ) تفسير سورة النساء آية / ٤٨ .

(٢) رواه البخاري : كتاب اللباس ، باب إرداف الرجل خلف الرجل ( ٧ / ٢١٨ ) ح ٥٩٦٧ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ( ١ / ٥٨ ) ح ٣٠ ، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه واللفظ لمسلم .

(٣) هو الصحابي الجليل : أبو ذر الغفاري المشهور ، الصادق للهجة ، مختلف في اسمه واسم أبيه ، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن ، وقيل : بريد بن عبد الله ، وبربر بن جنادة ، والمشهور جندب بن جنادة قيس بن عمرو بن بني غفار ، من السابقين إلى الإسلام ، قصة إسلامه في الصحيحين ، مات في الربرة سنة ٣١ هـ ، طبقات ابن سعد ( ٤ / ٢١٩ ) ، الإصابة ( ٤ / ٦٢-٦٤ ) ترجم رقم / ٣٨٤ ، أسد الغابة ( ٦ / ١٠٦-١٠٨ ) ترجمة رقم / ٥٨٦٢ ، سير أعلام النبلاء ( ٢ / ٤٦ وما بعدها ) .

(٤) رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى ( ٤ / ٢٠٦٨ ) ح ٢٦٨٧ ، وأحمد في مسنده ( ٥ / ١٤٧-١٤٨-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٦٧-١٦٩-١٧٢-١٨٠ ) وغيرهما .

(٥) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ( ٣٧٤ ) - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط بدون .

- ﷺ : « وإن زنى وإن سرق » (١) .

ثالثاً: نصوص فيها التصريح ببقاء الأخوة الإيمانية وبقاء الإيمان مع ارتكاب الكبائر، منها:  
 قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] .  
 وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٧٨] .  
 فاستدل أهل السنة على أن المؤمن لا يكفر بارتكابه الكبائر لأن الله سبحانه وتعالى - سماه مؤمناً ووصفهم بالأخوة ويقصد بها الأخوة الإيمانية .

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : « ودل قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَخِيهِ ﴾ على أن القتال لم يخرج عن الإسلام » (٢) .

فوجه الدلالة من هذه الآيات على أن فاعل الكبيرة لا يكفر لأن الله سمي المقتول أخاً للقاتل، مع أن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب عند الله عز وجل .  
 رابعاً: نصوص واردة في إقامة الجدة على مرتكب الكبيرة :

كحد السرقة ، وشرب الخمر ، والزنا ، والقذف ، والحراية ، وغيرها فهذا دليل قوي في عدم تكفير مرتكب الكبيرة فلو كانوا كفاراً لما كانت العقوبة على حسب ارتكاب الكبيرة إما القصاص أو الجلد أو الرجم أو القطع أو النفي وغيرها .  
 .. ولكن الرسول - ﷺ - بيّن الفرق في حد المرتد عن الإسلام وغيره من الحدود الأخرى لمرتكبي الكبيرة غير الكفرية ، فجعل حد المرتد عن الإسلام القتل بينما حد مرتكبي الكبائر متفاوتة ، وما كان فيها حده القتل كالقاتل عمداً فقد يخفف ويحول إلى الدية عند عفو الولي عنه ، فلو كان القتل كفراً ما كان للولي عفو ولا أخذ الدية ولزمه القتل لقوله - ﷺ - : « من بدل دينه فاقتلوه » (٣) .

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة ( ١٧٤ / ٩ ) ح ( ٧٤٨٧ ) ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار ( ١ / ٩٤ ) ح ( ٩٤ ) ، واللفظ له .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ( ١ / ١٨٠ ) .

(٣) رواه البخاري : كتاب استنابة المرتدين والمعاندين ، باب حكم المرتد والمرتدة ( ١٩ / ٩ ) ح ( ٦٩٢٢ ) وأحمد في مسنده ( ١ / ٢١٧ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٣٢٣ ، ٥ / ٢٣١ ) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

وأما أقوال أئمة السلف في ذلك فقد نصت على عدم كفر مرتكب الكبيرة إذا لم يستحل ذلك .

« فكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمن لما فيه من معرفته بالرُّسل والكتب المنزلة من الله تعالى، ولمعرفته بأن كل ما جاء من عند الله حق، ولكن فاسقٌ بكبيرته وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان والإسلام. وعلى هذا القول مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين » (١) .

**قال الإمام أبو حنيفة - رحمه الله -** : « ولا نكفر مسلماً بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الإيمان ونسميه مؤمناً حقيقة ، ويجوز أن يكون مؤمناً فاسقاً غير كافر » (٢) .

**وقال أبو عبيد (٣) - رحمه الله -** : « أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً ولا توجب كفراً ، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله » (٤) .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -** : « ومذهب أهل السنة والجماعة : أن فساق أهل الملة ليسوا مخلدين في النار كما قالت الخوارج والمعتزلة، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة ، بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وهذا الثواب » (٥) . ا.هـ .

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ( ص ٩٧ - ٩٨ ) بتصرف يسير - دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان ط الرابعة ( ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ) .

(٢) كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، شرح الملا على القاري ( ص ١٠٢ - ١٠٣ ) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى ( ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ) .

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي ، ولد في هراة سنة ١٥٧ هـ ، أحد الأئمة الحفاظ ، له تصانيف في فنون كثيرة ، منها : ( غريب الحديث ، مشكل القرآن ، الإيمان ) وغير ذلك ، توفي سنة ٢٢٤ هـ بمكة . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان ( ٤ / ٦٠ - ٦٢ ) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١٠ / ٤٩٠ وما بعدها ) ، طبقات الشافعية / للسبكي ( ٢ / ١٥٣ وما بعدها ) ، الاعلام / للزركلي ( ١٧٦ / ٥ ) .

(٤) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ( ضمن أربع رسائل مجموعة ) - تحقيق / الالباني - دار الأرقم - الكويت - ط الثانية ( ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ) .

(٥) مجموع الفتاوى ( ٧ / ٦٧٩ ) .

## الشفاعة

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « وأما قوله - ﷺ - : « وإن زنى وإن سرق » فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار ، وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود في الجنة » (١) .

ويقول - رحمه الله تعالى - أيضاً وهو يروي مذهب أهل السنة في الموحدين :

« واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته ..... وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى - فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول وإن شاء عذبه القدر الذي يريد - سبحانه وتعالى - ثم يدخله الجنة فلا يدخله في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل » (٢) .

وقال الإمام الأشعري - رحمه الله - : « وأهل السنة لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كتحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر » (٣) .

وقال الإمام الطحاوي (٤) - رحمه الله - : « ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، ما لم يستحله » (٥) .

(١) شرح النووي لصحيح مسلم : ( ج ٢ / ٩٧ ) المجلد الأول .

(٢) شرح النووي لصحيح مسلم : ( ج ١ / ٢١٧ ) المجلد الأول .

(٣) مقالات الإسلاميين - تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ( ١ / ٣٤٧ ) .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي المصري الطحاوي الحنفي ، إمام ، حافظ ، فقيه ، ولد سنة ٢٣٩ هـ في طحا ( من صعيد مصر ) صنف كتباً كثيرة منها : ( عقيدته المشهورة ، شرح معاني الآثار ، مشكل الآثار ) وغير ذلك ، توفي بالقاهرة سنة ٣٢١ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١٥ / ٢٧ - ٣٢ ) ، الجواهر المضئية في طبقات الحنفية / لعبد القادر بن أبي الوفاء القرشي ( ١ / ٢٧١ - ٢٧٧ ) ، شذرات الذهب / لابن العماد ( ج ٢ / ٢٨٨ ) المجلد الأول ، والاعلام / للزركلي ( ١ / ٢٠٦ ) .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق / الألباني ( ص ٣١٦ ) .

ويقول شارح العقيدة الطحاوية - رحمه الله - : « إن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرةً ينقل عن الملة بالكلية » (١) .

وقال الإمام الصابوني (٢) - رحمه الله - : « ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنباً كثيرة صفائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها ، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله - عز وجل - إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً غير مبتلى بالنار ، ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار وإن شاء عاقبه وعذبه مدةً بعدذاب النار ، وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار » (٣) .

وقال الإمام البيهقي (٤) - رحمه الله - : « اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها ، وإذا عمل شيئاً

(١) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق / الألباني ( ص ٣٢١ ) .

(٢) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عابد الصابوني ، ولد في نيسابور سنة ٣٧٣ هـ ، تولى الوعظ وهو في العاشرة من عمره ، كان بالغاً في العفاف والسادات وصيانة النفس ، معروفاً بحسن الصلاة وطول القنوت ، كان سيف السنة وأقوى على أهل البدعة ، من مصنفاته : ( الفصول في الأصول ، الانتصار ، عقيدة السلف أهل الحديث ) وغيرها ، توفي بنيسابور سنة ٤٤٩ هـ . انظر : طبقات الشافعية / للسبكي ( ٤ / ٢٧١-٢٩٢ ) ، شذرات الذهب / لابن العماد ( ج ٣ / ٢٨٢ ، ٢٨٣ ) المجلد الثاني ، البداية والنهاية / لابن كثير ( ج ١٢ / ٨١ ) المجلد السادس ، الأعلام / للزركلي ( ١ / ٣١٧ ) .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث - تحقيق بدر بن عبد الله البدر ( ص ٨٦ ) - مكتبة الفراء الأثرية - المدينة المنورة - السعودية - ط الثانية ( ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ) .

(٤) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البيهقي ، الفقيه الشافعي ، يعرف بابن الفراء أو الفراء ، ويلقب بمحمبي السنة ، نسبته إلى بغا من قرى خراسان بين هراة ومرو ، ولد عام ٤٣٦ هـ ، هو فقيه ، محدث ، مفسر ، وكان جليلاً ورعاً زاهداً ، توفي عام ٥١٠ هـ في مرو الروذ ، وقد جاوز الثمانين ، ولم يحج ، له عدة مصنفات ، منها : ( معالم التنزيل - في التفسير ، الجمع بين الصحيحين - في الحديث ، التهذيب - في الفقه الشافعي ، شرح السنة ) وغيرها . انظر : طبقات المفسرين / للداودي ( ١ / ١٥٧-١٥٩ ) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي ( ٤ / ١٢٥٧ ) ، الأعلام / للزركلي ( ٢ / ٢٥٩ ) .

منها ، فمات قبل التوبة ، لا يُخلد في النار ، كما جاء به الحديث ، بل هو إلى الله إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه ، ثم أدخله الجنة برحمته ، (١) .

وقال الإمام ابن بطه (٢) العكبري - رحمه الله - : « وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنوب ولا نخرجه من الإسلام بمعصية ، نرجو للمحسنين ، ونخاف على المسيء » ، (٣) .

وقال الإمام بن أبي الخير (٤) العمراني - رحمه الله - : « ومذهب أهل السنة أن الموحدين لا يكفرون بفعل شيء من المعاصي الصغائر والكبائر ، وإذا عملوا الكبائر وتابوا لم تضرمهم ، وإن ماتوا قبل التوبة منها فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم عليها وإن شاء غفرها لهم ، وإن عذب العباد على الصغائر لم يكن ظالماً لهم بذلك » ، (٥) .

(١) شرح السنة للإمام البغوي - تحقيق / شبيب الإريزاوط (١٠٣ / ١) :

(٢) هو الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطه العكبري الحنبلي ، عالم بالحديث فقيه من كبار الحنابلة ولد بمكرا سنة ٣٠٤هـ رحل إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها في طلب الحديث ، ثم لزم بيته أربعين سنة حتى توفي سنة ٣٨٧هـ ، قال عنه الذهبي : ( كان صاحب أحوال وإجابة دعوة ﷺ ) له عدة مؤلفاته منها : ( كتاب الشرح والإبانة ، رسالة في إبطال الحيل ) وغيرها . انظر : طبقات الحنابلة / لأبي يعلى (١٤٤/٢ - ١٥٢) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي (١٦ / ٥٢٩) وما بعدها ، الأعلام / للزركلي (٤ / ١٩٧) .

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، للإمام عبيد الله محمد بن بطه العكبري ، تحقيق / د . رضا معطي (ص ٢٦٥) - المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة - السعودية - ط بدون (١٤٠٤هـ) .

(٤) هو يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد بن عبد الله بن محمد بن موسى ابن عمران العمراني ، أبو الحسين ، فقيه كان شيخ الشافعية في بلاد اليمن ، ولد في مصنعة سير (بلدة من أعمال إب في اليمن) سنة ٤٨٩هـ ، وتوفي في ذي السفال من محافظة إب سنة ٥٥٨هـ ، مطبوعاً شهيداً ، وله مصنفات ، منها : ( الزوائد على المذهب ، والبيان - في الفقه الشافعي ، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ) وغير ذلك . انظر : طبقات فقهاء اليمن / لابن المجددي (ص ١٧٤-١٨٤) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - تحقيق : فؤاد سيد / ط الثانية (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ، طبقات الشافعية / للسبكي (٧ / ٣٣٦-٣٣٨) ، الأعلام / للزركلي (٨ / ١٤٦) .

(٥) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار - تحقيق / د . سعود بن عبد العزيز الخلف (٣ / ٦٦٦) - أضواء السلف - الرياض - السعودية - ط الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) .

وقال الإمام (١) أبو محمد اليميني ، وهو يتكلم عن عقيدة السلف والرد على أهل البدع في مرتكب الكبائر والحكم عليه : « والذي عبدنا أنه فاسق لأنه يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [ النور : ٤ ] .  
وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [ الحجرات : ٦ ] .

فلو كانوا كفاراً كما ذكر هؤلاء (٢) لما قال ﴿ فَتُصِحِّحُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ لانه لا ندم على الكافر (٣) .

وقد ذكر كثير من المصنفين من أئمة أهل السنة والجماعة وعلمائهم أقوالاً كثيرة جداً تبين حكم مرتكب الكبيرة ، واكتفينا بما ذكر ، هذه الأقوال في حالة عدم استحلال الذنب من مرتكبه .

وما ورد من نصوص (٤) في الكتاب أو السنة على إطلاقه بلفظ الكفر أو الشرك .

(١) من علماء اليمن في القرن السادس الهجري ، لم يعرف إلا بكنيته ونسبته ، ساهم إسهاماً طيباً في بيان عقائد الفرق الضالة ، وخاصة الإسماعيلية ، فلم يؤلف أحد من السلف مثله في زمانه ومكانه في هذا الباب مع توخي الصواب والبعد عن الهوى ، وكان لقربه منهم وكثرة قراءته ، ومعرفة رموزهم أسباب لمعرفتهم ، وفضح معتقداتهم ، ولعل هذا السبب الذي أدى به إلى إخفاء اسمه ولقبه ، كان راسخ العلم غزير الإطلاع في شتى فنون المعرفة والعلم . انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان / لابي الفضل السكسكي - تحقيق د : بسام العموش ( ص ٨٢-٨٣ ) مكتبة المنار - عمان - الأردن - ط الأولى ( ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ) ، الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ( ص ٧٢٤ ) - إدارة ترجمان السنة - ط الأولى ، اليمن عبر التاريخ / أحمد حسين شرف الدين ( ص ١٩٦ ، ١٩٧ ) .

(٢) يقصد بهم : الخوارج فهم يكفرون المسلم بمجرد ارتكابه للكبيرة .

(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لابي محمد اليميني - تحقيق ودراسة / محمد عبد الله زربان الغامدي ( ١ / ٢٩٨ ) - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - السعودية - ط الثانية ١٤٢٢ هـ - ( ٢٠٠١ م ) .

(٤) مثال :

[ ١ ] قوله ﷺ : ( سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ) ، رواه البخاري ح ٦٠٤٤ ومسلم ح ٦٤ من حديث ابن مسعود .

[ ب ] قوله ﷺ : ( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .. ) رواه البخاري خ / ٥٥٧٨ ومسلم ح / ٥٧ . قال الإمام النووي - رحمه الله - ( فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذا من الالفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال : لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل ولا عيش إلا عيش الآخرة ) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ( ج ٢ / ٤١ ) المجلد الأول .

[ ج ] قوله ﷺ : ( لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ) رواه مسلم ح / ٤٦ ، وقوله ﷺ : ( لا يدخل الجنة تمام ) مسلم ، ح / ١٠٥ .

على بعض المعاصي فاهل السنّة والجماعة يقولون أنه كفر دون كفر ، ويقصد بذلك تشبه مرتكب المعصية بالكافرين والمشرّكين بفعله .

ومن النصوص ما أولت بكفر النعمة ، أو ما ورد فيه نفي الإيمان فيقصد به نفي كمال الإيمان ، أو الإيمان الواجب وليس أصل الإيمان ، أو نفي دخول الجنة عمّن ارتكب كبيرة فيقولون : ما دام موحداً فالنفي يحمل على عدم الدخول ابتداءً أو يحمل على مستحل للفعل ، وتقابل هذه النصوص مع أحاديث من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

فعند ذلك يتضح جلياً من هذه الأقوال والنقول أن مرتكب الكبيرة عند أهل السنّة إذا لم يكن مستحلاً<sup>(١)</sup> لها بالفعل أو الاعتقاد ليس بكافر ولكن « يعتبر مؤمناً ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسقاً بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق للإيمان ، ولا يسلب مطلق اسم الإيمان »<sup>(٢)</sup> فيكون نقص الإيمان بقدر ما ارتكب من معصية ، فيقولون معه مطلق<sup>(٣)</sup> الإيمان ، لا الإيمان المطلق فلا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية إن شاء الله غفر له وعفا عنه من أول وهلة وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه لكن لا يخلد في النار ، بل يخرج منها بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمين .

وهذا ما يجب على العبد المسلم اعتقاده كونه المعتقد الحق دون سواه ، وبه يثاب العبد عند الله - عز وجل - .

(١) أن عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرّم الله ورسوله - ﷺ - ولو لم يعمل به لانه حينئذ يكون مكذباً بالكتاب ومكذباً بالرسول ﷺ وذلك كُفْر بالكتاب والسنّة والإجماع . فمن جحد أمراً مجمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة فلا شك في كفره .  
( ولا تكفر بالمعاصي مؤمناً إلا مع استحلاله لما جنى )

انظر : معارج القبول في شرح سلم الأصول إلى علم أصول التوحيد (تحقيق / عمر أبو عمر) ( ٣ / ١٠٤٠ ) .

(٢) مجموع الفتاوى / لابن تيمية ( ٣ / ١٥٢ ) بزيادة يسيرة .

(٣) الفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء : أن الشيء المطلق يعني به الكمال ( أي أصله وكماله موجود ) ، ومطلق الشيء يعني أصله لكن كماله مفقود .

## المطلب الثاني حكم أهل الكبار عند الخوارج

يتفق عامة الوعيدية<sup>(٥)</sup> من الخوارج والمعتزلة على تقسيم الذنوب إلى صفائر وكبائر ، وعلى تعريف الكبيرة ولكنهم يختلفون في الحكم على أصحابها في الدنيا ويتفقون في الحكم عليه في الآخرة، وأيضاً هي تعتبر مدار خلاف طويل بين أهل السنة والجماعة والوعيدية ( الخوارج والمعتزلة ) .

فالخوارج كانت في بداية الأمر فرقة واحدة ثم تفرقت إلى فرق شتى ، وكل فرقة قد تحتوي على فروع وأقسام وذلك لما ينشأ بينهم من خلاف في الآراء والمعتقدات فيفترون ، فكبار فرق الخوارج<sup>(١)</sup> ست : ( الأزارقة ، والنجدات ، والصفرية ، والمجاردة ، والإباضية ، والثعالبة ، والباقون فروعهم )<sup>(٢)</sup> .

**فالخوارج يقولون** : إن مرتكب الكبيرة يحكم عليه في الدنيا بالكفر لفعله الكبيرة، دون النظر إلى موانع التكفير الذي ينظر إليها أهل السنة ، كالجهل ، والخطأ، والإكراه ، والتأويل ، والتقليد .

**يقول الإمام الرازي<sup>(٣)</sup>** : « سائر فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافراً

( \* ) سماوا وعيديه : لانهم يقولون بأحكام الوعيد دون أحكام الوعد ، أي : يغلبون نصوص الوعيد على نصوص الوعد ، ليخرجوا فاعل الكبيرة من الإيمان .

( ١ ) سيأتي التعريف بالخوارج وفرقها في الباب الثالث ، إن شاء الله تعالى .

( ٢ ) الملل والنحل للشهرستاني - تعليق / أحمد فهمي محمد ( ١ / ١٠٧ ) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الثانية ( ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ) ، بزيادة بسيرة ، وانظر مقالات الإسلاميين / لابي الحسن الأشعري ( ١ / ١٦٨ ) .

( ٣ ) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، فخر الدين الرازي أبو عبد الله ، ولد سنة ٥٤٤هـ في الرّي ، فقيهاً أصولياً ، عالماً رياضياً ، فيلسوفاً ، كان إماماً في الفلسفة وعلم الكلام يقال له ابن خطيب الرّي ، وكانت له مدرسة يُدرس فيها ، ويُعد من أهم رؤساء الأشاعرة ، توفي سنة ٦٠٦هـ ، من مؤلفاته : مفاتيح الغيب في التفسير ، لوامع البينات في شرح أسماء الله والصفات ، معالم أصول الدين ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ( وغيرها . انظر : وفيات الأعيان / لابن خلكان ( ٤ / ٢٤٨ ) ترجمة رقم / ٦٠٠ ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ٢١ / ٥٠٠ ، ٥٠١ ) ، الأعلام / للزركلي ( ٦ / ٣١٣ ) .

بالذنب» (١). وفي الآخرة يكون من أصحاب النار خالداً فيها إن مات ولم يتب من كبيرته التي ارتكبها ، وهذا في الحكم العام المشهور عندهم ، فهم يكفرون أصحاب الكبائر، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً ، إلا [النجادات] ، (٢) .

وقد يجد الناظر فيما ذكر عنهم من أقوال في مرتكب الكبيرة أنها متعددة وقد تكون متباينة في بعضها ، وذلك على حسب افتراقهم وطوائفهم ، فمن أقوال هذه الفرق والطوائف ما يلي :

**أولاً : الإباضية :**

**قالت ،** « الإيمان جميع الطاعات ، فمن ترك منها شيئاً صغيرة كانت أو كبيرة كفر كفر نعمة لا كفر شرك إلا إن غفرت ، واحتجوا بقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم: ٢٨] .

**قالت ،** « إن مرتكبي الكبائر في النار خالدون مخلدون فيها » (٣) .

**وقالت في مرتكب الكبيرة** « إنهم موحدون لا مؤمنون » (٤) ، « وأن من ارتكب كبيرة من الكبائر كُفَّرَ كُفْرَ النعمة لا كفر الملة » (٥) .

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي - تحقيق / محمد المعتمد ب الله البغدادي (ص ٤٩) - دار

الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٠٧) بتصرف ، ومقالات الإسلاميين / لابي الحسن الأشعري (١ /

١٦٨) ، والتبصير في معالم الدين للإمام بن جرير الطبري ( تحقيق / علي بن عبد العزيز الشبل

(ص ١٧٧) .

(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لابي محمد اليميني - تحقيق / محمد بن عبد الله زربان الغامدي (١ /

٢٩٦) ، مقالات الإسلاميين (١ / ١٨٩) ، والإيمان لابي عبيد ( ضمن أربع رسائل - بتحقيق

الالباني (ص ١٠١ ، ١٠٢) ، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١ / ٦٣ ، ٦٤) .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣١) .

(٥) الملل والنحل (١ / ١٣٢) ، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٩٧) ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول

الاعتقاد للجويني (ص ٣٢٤) ، والتبصير في معالم الدين للطبري (ص ١٧٧) .

ومن فروع هذه الفرقة ما يلي ،

### [ أ ] اليزيدية :

**تقول:** « إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون ، وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك » (١) .

### [ ب ] الحفصية :

**تقول:** « إن بين الشرك والإيمان خصلة واحدة ، وهي معرفة الله تعالى وحده ، فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب ، أو قيامه ، أو جنة ، أو نار ، وارتكب الكبائر من الزنا والسرقه وشرب الخمر فهو كافر ، لكنه بريء من الشرك » (٢) .

### [ ج ] الحارثية :

**من أقوالها:** « كل ذنب صغيراً أو كبيراً ولو كان أخذ حبة خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار ، إلا أن يكون من أهل بدر فهو كافر مشرك من أهل الجنة ، وهذا حكم طلحة (٣) والزبير (٤) »

(١) الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١٣٣ ) .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل / لابن حزم - تحقيق عميره ( ٥ / ٥٥ ) شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - ط الأولى ( ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ) ، والملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١٣٢ ) .

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي ، أبو محمد ، صحابي جليل ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر رضي الله عنه ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، شهد أحداً وغيرها ، وقتل في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ ، وهو ابن ٦٣ عاماً . انظر : الإصابة لابن حجر ( ٢ / ٩٢٢ ) برقم ٤٢٦٦ ، تقريب التهذيب / لابن حجر ( ١ / ٤٥١ ) برقم ٣٠٣٨ .

(٤) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي أبو عبد الله ، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى ، أسلم صغيراً في الثانية عشرة من عمره ، هاجر الهجرتين ، شهد بدرًا وما بعدها ، وشهد اليرموك وقُتل شهيداً في موقعة الجمل في شوال سنة ٣٦هـ. قتلته عمرو بن جرهم غدرًا ، وله ٦٦ سنة أو ٦٧ سنة رضي الله عنه ، انظر : الإصابة / لابن حجر ( ١ / ٥٤٥ - ٥٤٦ ) ، أسد الغابة / لابن الأثير ( ٢ / ٢٩٥ - ٢٩٨ ) ترجمة رقم ١٧٣٢ سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١ / ٤١ وما بعدها ) ، تقريب التهذيب / لابن حجر ( ١ / ٣١٠ ) برقم ٢٠٠٨ .

- **عندهم** (١) .

**ثانياً: الأزارقة:**

«اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة خرج به عن الإسلام جملة ، ويكون مخلداً في النار مع سائر الكفار» (٢) .  
وبهذا قالت : المكرمية من الثعالبة ، والصفرية ، والبيهسية وأكثر الخوارج .

**ثالثاً: الصفريّة:**

ولقد انقسمت إلى ثلاث فرق :

[ ١ ] فرقة تقول بأن مرتكب الكبيرة كافر ومشرك وألحقوا بذلك صغار المعاصي (٣) .  
[ ٢ ] وأخرى تقول : « لا يُشهدُ عليه بأنه كَفَرَ حتى يرفع إلى السلطان ويُحدَّ عليه ، فإذا حدَّ عليه فهو كافر » (٤) .

[ ٣ ] وأخرى تقول : « ما كان من الأعمال عليه حد واقع ، فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا والسرقة والقتل ، فيسمى زانياً سارقاً قاذفاً لا كافرأ مشركاً ، ومن كان من أهل الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة فإنه يكفر بذلك » (٥) وبه قال بعض البيهسية .

**رابعاً: النجدات:**

**لهم قولان:**

[ ١ ] أن مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة .

- (١) الفصل في الملل والاهواء والنحل / لابن حزم - تحقيق عميره (٥ / ٥٦) .  
(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١ / ١١٦) ، ومقالات الإسلاميين للاشعري (١ / ١٧٠) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لأبي المعالي الجويني (ص ٣٢٤) .  
(٣) عقائد الثلاث والسبعين فرقة / لأبي محمد اليميني (١ / ٢٩٦) - والإيمان لأبي عبيدة (ضمن أربع رسائل) تحقيق / اللبناني (ص ١٠٢) .  
(٤) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١ / ١٩٧) .  
(٥) مقالات الإسلاميين (١ / ١٨٣) - والملل والنحل للشهرستاني (١ / ١٣٤) - والفرق بين الفرق للبغدادى (ص ٥٦) .

[ ٢ ] يُكفرون المصر على الذنب سواء كان الذنب صغيراً أو كبيراً ، ولا يكفرون غير المصر وإن عمل الكبائر إذا كان من موافقيهم <sup>(١)</sup> .

وقالوا : « إن أصحاب الذنب الذي أجمعت الأمة على تحريمه كافر مشرك ، وصاحب الذنب الذي اختلفت الأمة فيه على حكم اجتهاد أهل الفقه فيه ، وعذروا مرتكب ما لا يعلم بجهالة تحريمه إلى أن تقوم الحجة عليه فيه » <sup>(٢)</sup> .

### خامساً : العجاردة :

يكفرون بالكبائر <sup>(٣)</sup> ، ومن أقوال هذه الفرقة وما تفرّع عنها : « زعموا أن من أتى كبيرة فقد جهل الله سبحانه ، وبذلك الجهالة كفر ، لا بركوبه المعصية » <sup>(٤)</sup> .

### سادساً : الثعالبية ، منها الفضيلية :

جعلوا المعاصي كلها ما غفر منها وما لم يغفر كفراً وشركاً ، وقالوا : « لأن الله جل ثناؤه لو عذبهم عليها كان غير ظالم ، لقوله تعالى : ﴿ لا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ [ ١٥ ] الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ ١٦ ﴾ [ الليل : ١٥ - ١٦ ] ، » <sup>(٥)</sup> .

### سابعاً : ومن فرق الخوارج الحسينية :

يقولون فيمن خالفهم ، « إنهم بارتكاب الكبائر كفار مشركون » <sup>(٦)</sup> .

### ثامناً : جماعة التفكير والهجرة :

تشارك جماعة التكفير والهجرة الخوارج في منهجها ومعتقداتها ، فهم يكفرون

(١) مقالات الإسلاميين ( ١ / ١٧٥ ) وانظر الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١٨٨ - ١١٩ ) والفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم - تحقيق / عميره ( ٥ / ٥٣ ) - والفرق بين الفرق للبغدادي ( ص ٥٥ ، ٥٦ ) .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ( ٩٧ ) ، ( ١١٩ ) .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ١٢٤ ) .

(٤) مقالات الإسلاميين للاشعري ( ١ / ١٨٢ ) - والفصل في الملل والاهواء والنحل / لابن حزم ( ٥ / ٥٥ ) .

(٥) عقائد الثلاث والسبعين فرقة لابي محمد اليميني ( ١ / ٢٩٦ ) ، والإيمان لابي عبيد ( ضمن رسائل أربع ) تحقيق الالباني ( ص ١٠٢ ) .

(٦) مقالات الإسلاميين للاشعري ( ١ / ١٩٨ ) .

كل من ارتكب معصية واصر عليها ولم يتب منها ، ويكفرون الحكام لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله <sup>(١)</sup> ، ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بهم وتابعوهم على الحكم بغير ما أنزل الله ، وهم يكفرون علماء المسلمين وغيرهم وكل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله فهو كافر عندهم ، ومن بايع إمامهم ودخل في جماعتهم ثم تراءى له لسبب أو لآخر تركها فهو مرتد حلال الدم عندهم ، وكل الجماعات الإسلامية الأخرى إذا بلغتها دعوتهم ولم تحلّ نفسها لتبايع إمامهم فهي كافرة مارقة ، بل والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري كلها عصور كفر وجاهلية .

وهكذا أسرف هؤلاء في التكفير فكفروا الناس أحياءً وأمواتاً وبالجملة ، مع أن

(١) الحكم بغير ما أنزل الله ينظر إليه من جهتين : الجهة الأولى : من جهة الحكم على الفعل ، وهو ينقسم إلى قسمين هما : القسم الأول : الحكم على الفعل بأنه كفر أكبر ، مثل الجحود لما أنزل الله أو التشريع من دون الله أو الحكم بغير ما أنزل الله من القوانين والتحاكم إليها وإلزام الناس بها ، أو التبديل ولو لحكم واحد من أحكام الشريعة . القسم الثاني : الحكم على الفعل بأنه كفر اصغر ، وهو في حالة أن يكون حكم الله هو الحكم السائد ولكن تحصل المخالفة في الحالات الجزئية والحوادث الواقعة في الحكم بغير ما أنزل الله ، كمجاملة الحاكم المحكوم عليه لمنصب أو جاه أو رشوة أو نحو ذلك ، بشرط أن يصاحبها إقرار واعتراف بشريعة الله تعالى . الجهة الثانية : من جهة الحكم على الفاعل ، لا يخلو حاله من ثلاثة احتمالات ، وهي :

الأول : أن يكون جاهلاً بلزوم الالتزام بالشريعة والتحاكم إليها . مثال : جهلة في لزوم إتباع الرسول ﷺ ، والالتزام بالشريعة إجمالاً ، فهو كافر كفاً أصلياً . لأن من شروط تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله العلم بمدلولها الذي هو تصديق الرسول ﷺ والالتزام بالشريعة ، تصديقاً والتزاماً إجمالياً يقتضي التصديق والالتزام التفصيلي ، فهذا الأمر لا يعذر فيه أحد بجهل أو تناول أو إكراه ، فلا يثبت إسلام للمعين على الحقيقة إلا به .

الثاني : أن يكون عالماً بذلك ، متممداً رد الشريعة ، غير جاهل ولا متناول ، فهو كافر لتوفر الشروط وانتفاء الموانع ، ولا نظر هنا لكونه مستحلاً أو غير مستحل ، جاحداً أو غير جاحد .

الثالث : أن يكون عالماً بلزوم الإلتزام بالشريعة ، لكنه يجهل أن فعله يتعارض مع أصل الإلتزام بالشريعة ، لعدم علمه بالحكم الشرعي في ذلك . ففي هذه الحالة لا بد من إقامة الحجة عليه ورد شبهته حتى يعلم أن ما يفعله هو رد لشريعة الله ، فإن أصر على فعله كفر لأنه حينئذ يكون قد فعل ما فعل رداً ورفضاً للشريعة ، وهذا هو مناط التكفير هنا . انظر : الحكم بغير ما أنزل الله أحواله وأحكامه / د : عبد الرحمن المحمود (ص ٣٣٠) - دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - ط الأولى والثانية ( ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ) ، ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة / عبد الله القرني (ص ١٧١) .

تكفير المسلم أمر خطير يترتب عليه حل دمه وماله والتفريق بينه وبين زوجته وولده وقطع ما بينه وبين المسلمين ، لا يرث ولا يورث ولا يوالى ، وإذا مات لا يُغسل ولا يُكفن ولا يُصلى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين ، وما هذه المعتقدات إلا نفسها معتقدات الخوارج<sup>(١)</sup> .

فمن خلال ما ذكرنا يتبين أن فرق الخوارج تتفاوت أقوالهم في الحكم على مرتكب الكبيرة في الحياة الدنيا ، ويجمع الخوارج على افتراق مذاهبها في تكفير عليّ وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين<sup>(٢)</sup> ومن صوّبهما أو صوّب أحدهما أو رضي بالتحكيم<sup>(٣)</sup> .

وكذلك اتفقهم على أن مرتكب الكبيرة إن مات ولم يتب منها أنه في النار خالدًا مخلدًا فيها ولا تنفعه شفاعة الشافعين أو غيرها .

ومن أكثر استدالاتهم احتجاجهم بعمومات الوعيد ، وسنوضح ذلك ونوردها في مكانها<sup>(\*)</sup> مع المناقشة والرد عليها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة ، وقالوا أنهم كفار مخلدون في النار »<sup>(٤)</sup> .

(١) ظاهرة الغلو في التكفير ، الدكتور / عبد الفتاح شاهين ( ص ١٦ ، ١٧ ) انظر : ظاهرة الغلو في

التكفير / للدكتور / يوسف القرضاوي - مكتبة وهبة - القاهرة - مصر - ط الثالثة ( ١٤١١ هـ -

١٩٩١ م ) ، وانظر : ظاهرة التكفير شبهات وردود ، للدكتور / عبد الفتاح شاهين ( ص ٨ - ١٠ ) -

دار الإسراء - ط الأولى ( ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ) ، والصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، يوسف

القرضاوي ( ص ٥٤ ، ٥٥ ) مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط ٥ ( ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ) .

(٢) عمرو بن العاص من قبل معاوية بن أبي سفيان ، أبو موسى الأشعري من قبل علي بن أبي طالب -

رضي الله عنهم أجمعين -

(٣) الفرق بين الفرق للبيدادي ( ص ٥٦ ) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ( ١ / ٦٣ -

٦٤ ) .

(\*) الفصل الخامس من الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

(٤) الفرقان بين الحق والباطل - تحقيق / عبد القادر الأرناؤوط ( ص ٢٤ ) مكتبة دار البيان - دمشق -

سوريا وبيروت - لبنان - ط الثانية ( ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ) .

وقالوا: «إن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين» (١) .  
فخلاصة القول من أقوالهم السابقة:

أن مرتكب الكبيرة كافر ، على اختلاف في ذلك عند البعض ، هل يكون كفوفاً مخرجاً من الملة أم كفر نعمة ، ولا يمكن في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب منها، فإن الله لا يغفر الكبائر لمرتكبيها إلا إذا تابوا منها قبل الموت . فعصاة الموحدين من أهل الكبائر - عندهم - مخلدون في النار أبد الأبدين ، وهذا معتقد باطل ينافي أدلة كثيرة وردت في الكتاب والسنة وإجماع السلف من أهل السنة والجماعة كما سبق توضيح ذلك في مذهب أهل السنة في الحكم على مرتكب الكبيرة .



## المطلب الثالث

## حكم أهل الكبائر عند المعتزلة (\*)

لقد تكلمت المعتزلة في الحكم على أهل الكبائر تفصيلاً في الدنيا والآخرة ، فقالوا : بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه فاسق ، فهو بمنزلة بين المنزلتين (\*\*). ، أي منزلة بين الإيمان والكفر ، فليس بمؤمن ولا كافر ، وهذا حكمه في الدنيا .

قال القاضي عبد الجبار<sup>(١)</sup> - رحمه الله - في كلامه عن مذهب المعتزلة في مرتكب الكبيرة : « إن صاحب الكبيرة لا يسمّى مؤمناً ولا كافراً ، وإنما يسمّى فاسقاً »<sup>(٢)</sup> .  
وقال رحمه الله : « صاحب الكبيرة له اسم بين الإسمين ، وحكم بين الحكّمين لا يكون اسمه اسم الكافر ، ولا اسمه اسم المؤمن ، وإنما يسمّى فاسقاً ، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ، ولا حكم المؤمن ، بل يفرد له حكم ثالث ، وهذا الحكم الذي ذكرناه ، هو سبب تسمية المسألة بالمنزلة بين المنزلتين ، فإن صاحب الكبيرة له منزلة تتجاذبها هاتان المنزلتان ، فليست منزلته منزلة الكافر ولا منزلة المؤمن ، بل منزلة بينهما »<sup>(٣)</sup> .

(\*) سيأتي التعريف بالمعتزلة في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

(\*\*) أصول المعتزلة الخمسة هي : العدل - التوحيد - الوعد والوعيد - المنزلة بين المنزلتين - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسد آبادي ، تلقبه المعتزلة قاضي القضاة ، كان شافعياً على مذهب الأشاعرة ثم تحول إلى الاعتزل ، له مؤلفات تشكل أهمية كبرى في الفكر الاعتزالي ، منها : ( تثبیت دلائل النبوة ، العمدة ، المغني ، تنزيه القرآن عن المطاعن ، شرح الأصول الخمسة ، فضل الاعتزال ، طبقات المعتزلة ) توفي سنة ٤١٥ هـ . انظر : ميزان الاعتدال / للذهبي - تحقيق : علي محمد البجاوي ( ٢ / ٥٣٣ ) برقم / ٤٧٣٧ ، دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط بدون ، سير اعلام النبلاء / للذهبي ( ١٧ / ٢٤٤ - ٢٤٥ ) ، شذرات الذهب / لابن العماد ( ج ٣ / ٢٠٢ ، ٢٠٣ ) المجلد الثاني ، الاعلام للزركلي ( ٣ / ٢٧٣ ) .

(٢) شرح الأصول الخمسة ( ٧٠١ ، ٧٠٢ ) .

(٣) شرح الأصول الخمسة ( ٦٩٧ ) .

ويقول القاسم الرسي - رحمه الله - <sup>(١)</sup> : « كل من أتى كبيرة من الكبائر أو ترك شيئاً من الفروض المنصوصة على الاستحلال لذلك فهو كافر مرتد حكمه حكم المرتد ، ومن فعل شيئاً من ذلك اتباعاً لهواه وإيثاراً لشهواته كان فاسقاً فاجراً ما أقام على خطيئته » <sup>(٢)</sup> .

ويقول أبو سعيد الجشمي <sup>(٣)</sup> البيهقي - رحمه الله - : « والفاسق منزلة بين هاتين المنزلتين لا تجري عليهم أحكام الكفار ولا أحكام المؤمنين ، ولا يسمى باسم الكفار ولا باسم المؤمنين فهم فساق فجار » <sup>(٤)</sup> .

« فقد اتفقوا على دعواهم في الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين وهي أنه فاسقٌ لا مؤمن ولا كافر » <sup>(٥)</sup> .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كلامه عن المعتزلة : « وفي الأسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا بها ، وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم » <sup>(٦)</sup> :

(١) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني، العلوي، أبو محمد المعروف بالرسي، فقيه، شاعر، من أئمة الزيدية، ولد سنة ١٦٩هـ، وتوفي في الرس (وهو جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة على ستة أميال من المدينة) سنة ٢٤٦هـ. من مؤلفاته: (كتاب أصول العدل والتوحيد). انظر: الأعلام للزركلي (٥ / ١٧١)، معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة (٢ / ٦٣٦) برقم ١٠٩٣٨.

(٢) كتاب أصول العدل والتوحيد للقاسم الرسي (ضمن رسائل العدل والتوحيد) ص ٢٨٣، قدم لها: سيف الدين الكاتب - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - ط بدون.

(٣) هو المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، أبو سعيد، ويقال له الحاكم الجشمي، مفسر، عالم بالأصول والكلام، حنفي ثم معتزلي فزيدي، وهو شيخ الزمخشري، ولد سنة ٤١٣هـ، قرأ ببنيسابور وغيرها، واشتهر بصنعاء (اليمن). وتوفي بمكة مقتولاً سنة ٤٩٤هـ له مؤلفات كثيرة، منها: (تحكيم العقول - في الأصول، الإمامة - على مذهب الزيدية) وغير ذلك. انظر: الأعلام / للزركلي (٥ / ٢٨٩)، معجم المؤلفين / كحالة (٣ / ٢١) برقم ١١٣٩٦.

(٤) تحكيم العقول في تصحيح الأصول لأبي سعيد الحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، تحقيق / عبد السلام بن عباس الوجيه (ص ٢٢٦) - مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - عمان - الأردن - ط الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٩٤) بتصرف يسير، والتبصير في معالم الدين للطبري (ص ١٧٨).

(٦) الفرقان بين الحق والباطل (ص ٢٥).

وقال أبو محمد اليماني - رحمه الله - في كلامه عن عقيدة المعتزلة : « وأما المعتزلة فإنهم قالوا : الإيمان بالقلب واللسان مع اجتناب الكبائر ، فمن قارف منها كبيرة ذهب عنه اسم الإيمان ولم يكن مؤمناً ولا كافراً ، (١) .  
ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً .

أما حكمهم على أهل الكبائر في الآخرة فيوافقون (\*) الخوارج في الحكم فهو لا يدخل الجنة لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد مخلد في النار .

قال ابن أبي الخير العمراني - رحمه الله - : « وقالت المعتزلة . . . . ومن فعل كبيرة فإنه يدخل في النار ، ولا يوصف الله بأنه يغفر الكبائر ، (٢) .

وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : « وأجمع أصحاب الوعيد من المعتزلة أن من أدخله الله النار خلده فيها ، (٣) .

فالكبائر عندهم لا تكفر عن صاحبها بل يجب أن يعاقب عليها وعقابه عليها والخلود في النار إلا أنهم خالفوا الخوارج في أن العذاب على مرتكب الكبيرة دون عذاب الكفار .

قال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : « والمعتزلة يقولون : إن عذابهم - أي مرتكبي الكبائر - ليس كعذاب الكافرين ، (٤) .

ويقول القاسم الرسي - رحمه الله - : « ومن لم يتب من فسقه وظلمه فهو من

(١) عقائد الثلاث والسبعين فرقة ( ١ / ٢٩٩ ) .

(\*) قيل للمعتزلة أنهم مخانث الخوارج ، لان الخوارج لما رأوا لاهل الذنوب الخلود في النار ، المعتزلة رأت لهم ذلك ، انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ( ص ٩٩ ) .

(٢) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار ( ٣ / ٦٦٨ ) ، وشرح الاصول الخمسة ( ٦٣٢ ) وشرح العقيدة الطحاوية - تحقيق / الالباني ( ص ٣٧٠ ) ، والتصبير في معالم الدين للطبري ( ص ١٧٨ ) .

(٣) مقالات الإسلاميين ( ١ / ٣٣٤ ) ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ٣٩ ) ، وانظر الفرق بين الفرق ( ص ٩٨-٩٩ ) .

(٤) مقالات الإسلاميين ( ١ / ٢٠٤ ) ، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ( ١ / ٣٩ ) .

أهل النار ليس بخارج منها ، ولكنه وإن كان في النار فليس عذابه كعذاب الكفار ، بل الكفار أشد عذاباً ، (١) .

وقال أيضاً : « فإن مات عليها - أي كبيرة من الكبائر - غير تائب منها كان من أهل النار خالداً فيها وبئس المصير » (٢) .

فبهذا يتبين أن المعتزلة خالفوا الخوارج في الحكم على مرتكب الكبيرة في الدنيا ، ووافقوهم في الحكم عليه في الآخرة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم ما استحلته الخوارج » (٣) .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « وافقوا الخوارج في الحكم وخالفوهم في الإسم » (٤) .

وعلى ذلك فقول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين باطل لا يقره أهل السنة والجماعة ، وكذلك القول بتخليد صاحب الكبيرة في النار ، لأنها بهذا المعتقد تنفي ما تواترت به النصوص ، وأجمع عليه السلف من أن أهل الكبائر غير مخلدين في النار .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : « أنا التزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله » (٥) .

(١) كتاب أصول العدل والتوحيد ، للقاسم الرسي ( ضمن رسائل العدل والتوحيد ) (ص ٢٨٤) .

(٢) المصدر السابق (ص ٢٨٣) .

(٣) الفرقان بين الحق والباطل (ص ٢٥) ، وانظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني (ص ٣٢٥) .

(٤) طريق الهجرتين - تخريج الأحاديث / عمر بن محمود أبو عمر (ص ٥٦٨) - دار ابن القيم - الدمام - السعودية - ط الثانية ( ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ) .

(٥) حادي الأرواح (ص ٢١٧) .

## المطلب الرابع

## حكم أهل الكبائر عند المرجئة (١)

لقد قابل الخوارج والمعتزلة في مسألة الإيمان المرجئة فقالوا : الإيمان هو التصديق بالقلب ، وما عدا ذلك فليس من الإيمان ، ولهذا كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص

(١) المرجئة : هم الذين أرجئوا العمل عن الإيمان وزعموا أن الإيمان هو التصديق بالقلب ومنهم من قال التصديق بالقلب واللسان ، وزعم البعض أن الإيمان هو المعرفة ، وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفك مع الكفر طاعة ، والإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص ، وهم نحو اثنتي عشرة فرقة وأصنافهم أربعة : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجيرية ، والمرجئة الخالصة ، انظر : المقالات ( ١ / ٢٢٣ - ٢٢٨ ) ، الملل والنحل ( ١ / ١٣٩ ) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ( ص ٩٣-٩٥ ) ، ذكر مذاهب الفرق الثنتين وسبعين المخالفة للسننة والمبتدعين / عبد الله بن أسعد اليافعي - تحقيق د. موسى سليمان الدويش ( ص ١٣٢-١٤١ ) دار البخاري - المدينة المنورة - السعودية - ط الأولى ( ١٤١٠ هـ ) .

تختلف فرق المرجئة في تعريفها للإيمان إلى ثلاثة أقوال :

الأول : أن الإيمان مجرد المعرفة ، وبعضهم يقول المعرفة والتصديق ، ومن هؤلاء من يدخل عمل القلب كعامة فرق المرجئة ، ومنهم من لا يدخل ذلك . كجهم بن صفوان .

الثاني : أن الإيمان مجرد قول اللسان وهو ما انفرد به ( الكرامية ) دون سائر الفرق .

الثالث أن الإيمان هو تصديق القلب وقول اللسان وهو ما يسمى بإرجاء الفقهاء .

قال شيخ الإسلام في الثالث وهو يلخص هذا الخلاف : ( .. وما ينبغي أن يعرف أن أكثر التنارع

بين أهل السنة في هذه المسألة هو نزاع لفظي ، وإلا فالقائلون بأن الإيمان قول ، من الفقهاء : كحماد

ابن أبي سليمان وهو أول من قال ذلك ، ومن أتبعه من أهل الكوفة ، وغيرهم متفقون مع جميع

علماء السنة على أن أصحاب الذنوب داخلون تحت الذم والوعيد ، وإن قالوا : إن إيمانهم كامل

كإيمان جبريل فهم يقولون : إن الإيمان بدون العمل المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه

مستحقاً للذم والعقاب ، كما تقول الجماعة ، ويقولون - أيضاً بأن من أهل الكبائر من يدخل النار

كما تقول الجماعة ... ) الإيمان ( ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ) ، وقال - رحمه الله - أيضاً : ( والنزاع في هذا

نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم ) - الفتاوى ( ١٣ / ٨٣ ) ، وقال - رحمه الله - أيضاً :

( ..... ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء ، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال

والأفعال ، لا من بدع العقائد ، فإن كثيراً من النزاع فيها لفظي ، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة

هو الضوابط ... ) انظر كتاب الإيمان / لابن تيمية - تخريج الألباني ( ص ٣٧٧ ) .

وخلاصة ما نستفيده من هذا الإيضاح ما يلي :

[ ١ ] أن أكثر التنارع ( وليس جميعه . ) بين الأئمة ومرجئة الفقهاء لفظي ، وفي الأسماء دون الأحكام .

[ ٢ ] أن هذا الخلاف وإن كان في الأصل لا يترتب عليه أثر عملي ، إلا أن شيخ الإسلام عدّه من بدع

عندهم ، فمن معتقدهم أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، فإيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء ، ومرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان ، لان الإيمان عندهم شيء واحد لا يزيد ولا ينقص وهو إما المعرفة ، أو التصديق على اختلاف بينهم X ، وحصروا الكفر بالجهل والتكذيب ونحوه من الجحود والإنكار والعناد .

أما الحكم على مرتكب الكبيرة في الحياة الآخرة فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن غلاة المرجئة أنهم يقولون : « لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد » (١) . فمذهب أهل السنة ينفي التأييد في النار لمن دخلها من أهل التوحيد ، خلافاً لغلاة المرجئة فإنهم ينفون الدخول في النار لأهل التوحيد ، والأمر في هذا تحت مشيئة الله . عز وجل - إن شاء أدخل العصاة من أهل التوحيد وإن شاء عفا عنهم ، فهو على كل شيء قدير .

**وذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - : أنهم يقولون : « لا يُدرى ما يفعل الله بهم فيجوز أن يعذبهم كلهم ، وأن يعفو عنهم كلهم ، وأن يعذب بعضهم ويعفو عن بعضهم ، غير أنهم لا يخلد أحد منهم في النار ، فجوزوا أن يلحق بعضهم بمن ترجحت حسناته على سيئاته » (٢) .**

#### الأقوال والأفعال .

[٣] وسبب اعتباره من بدع الالفاظ ، عدولهم عن الالفاظ المطابقة للكتاب والسنة في مسألة دخول

العمل في مسمى الإيمان ، ومسألة الزيادة والنقصان .. الخ .

[٤] أن هذا القول : فصار ذريعة وطريقاً استند عليه المرجئة المتكلمون ، ولذلك نجد بينهم تشابهاً في

غامة استدلالهم (فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ ، سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال) .

الإيمان ( ص ٣٧٧ ) .

[٥] أنه ذريعة إلى ظهور الفسق والمعاصي ، ( ... بان يقول : أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان

والإسلام ، ولي من أولياء الله ، فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي ) .. شرح الطحاوية .

ولذلك نذكر أن الأسلم والأصح أن لا يقال : إن الخلاف صوري أو لفظي بإطلاق ، فضلاً عن أن يقال :

أن هذا الخلاف لا محذور فيه ، أو لا يترتب عليه فساد اعتقاد و الله أعلم .. نواقض الإيمان الاعتقادية /

الوهيبي ( ١ / ١٧٤ ) .

(١) مجموع الفتاوى ( ٧ / ١٨١ ) .

(٢) طريق الهجرتين ( ص ٥٦٨ ) .

وقال - رحمه الله - : « فإنهم يجوزون أن لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد » (١) .  
 وذكر حافظ الحكمي (٢) رحمه الله قولاً لهم : « ولا يدخل النار أحدٌ بذنب دون الكفر بالكلية » (٣) .

ويقولون: « أهل الكبائر من أهل التوحيد الذين وُحِدوا وصدقوا رسول الله - ﷺ - .  
 وأقروا بشرائع الإسلام مؤمنون بإيمان جبريل وميكائيل ، وهم من أهل الجنة .  
 وقالوا : لا يضرهم مع الإيمان ذنب ، صغيرة كانت أو كبيرة كما لا ينفع مع الشرك عمل ، والوعيد إنما هو لأهل الكفر بالله ، والمكذبين بما جاء به رسوله - ﷺ - » (٤) .  
 واستدل هؤلاء بمقابل ما استدل به أولئك من الوعيدية ( الخوارج والمعتزلة ) إذ الوعيدية استدلتوا بنصوص الوعيد ، والمرجئة بنصوص الوعد والرجاء .

وقد وقع غلاة المرجئة في خطأ كبير في حصرهم للكفر بالجهل والتكذيب ، فعلى قولهم هذا لو أن شخصاً قال للنبي - ﷺ - : « أنا أعلم أنك صادق ، لكن لا أتبعك ، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ، ولا أوافقك » ، لكان قوله ليس بكفر .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فيمن قال هذا القول : ( أنا أعلم .. ) أنه كفر أعظم (٥) ويستلزم من قوله هذا أن من سب الرسول - ﷺ - ، أو سجد لصنم ، أو ألقى المصحف في القاذورات ليس بكافر ، والصحيح القول بكفره

(١) نفس المصدر (ص ٥٧٠) .

(٢) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي فقيه أديب ، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن . ولد في قرية (السلام) التابعة لمدينة المضاي ، جنوب جيزان سنة ١٣٤٢ هـ ونشأ بها .. ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله ، وألف كتباً كثيرة ، توفي بمكة سنة ١٣٧٧ هـ ، من مؤلفاته : (الجوهر الفريدة في العقيدة ، اللؤلؤ المكنون في أحوال السند والمتون ، معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، وأعلام السنة المنشورة) وغيرها . انظر : الأعلام / للزركلي (٢ / ١٥٩) ، معجم المؤلفين / كحالة (١ / ٥١٩) برقم / ٣٨٨٣ .

(٣) معارج القبول (٣ / ١٠٢٠) .

(٤) التبصير في معالم الدين للطبري (ص ١٧٩) .

(٥) كتاب الإيمان / لابن تيمية (ص ٢٧٧) ، كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ / لابن تيمية تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد (ص ٥٢٠) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط بدون (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ، شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق الالباني (ص ٣٣٨) .

عند الجميع .

ولعل من أعظم أسباب اضطرابهم وتناقضهم إخراج كثير منهم أعمال القلوب من مسمى الإيمان ، ولذلك جعلوا الكفر هو التكذيب والمجود ، فلو أدخلوا الأعمال في مسمى الإيمان لعلموا أنه يستحيل - مثلاً - أن يسب المرء من أحبه وخضع واستسلم كالرسول - ﷺ - ، لأن المحبة والاستسلام والانقياد لإكرام وإعزاز ، والسب والشتم إهانة وإذلال واستخفاف ، فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام فلا يجتمعان (١) .

وذكر البغدادي (٢) عند بيانه لفرق المرجئة كلاماً لأحد مرجئة القدرية (٣) فقال :

« وزعم الصالحى أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط ، والكفر هو الجهل به فقط . وأن قول القائل أن الله تعالى ثالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لا يظهر إلا من كافر ، . . . . ، والإيمان عنده خصلة واحدة لا تزيد ولا تنقص . وكذلك الكفر خصلة واحدة » (٤) .

### فخلاصة القول فيما سبق في الحكم على مرتكب الكبيرة هو :

( أ ) أن أهل السنة والجماعة قالوا : ( إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، وفي الآخرة : إن شاء الله غفر له وعفا عنه من أول وهلة وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه لكن لا يخلد في النار بل يخرج منها بشفاعة الشافعين ، أو رحمة أرحم الراحمين .

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ / لابن تيمية (ص ٥١٩) - بتصرف .

(٢) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الشافعي ، الأشعري من أكبر تلاميذ أبي إسحاق الإسفرائيني ، ولد ونشأ في بغداد ، ومات بإسفرايين سنة ٤٢٩ هـ وقد شاخ ، له تصانيف في النظر والعقليات وغيرها ، منها : ( أصول الدين ، الفرق بين الفرق ، نفي خلق القرآن ) وغير ذلك . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١٧ / ٥٧٢ - ٥٧٣ ) ، طبقات الشافعية / للسبكي ( ١٣٦ / ٥ - ١٤٨ ) ، الأعلام / للزركلي ( ٤ / ٤٨ ) ، تبين كذب المفتري / لابن عساكر ( ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ) .

(٣) هذه الفرقة عند أهل السنة والجماعة أكفر أصناف المرجئة لأنها جمعت بين ضلالتني القدر والإرجاء - انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٩٣ .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي ( ص ١٩٤ ، ١٩٥ ) ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ( ١ / ٢١٤ ) .

(ب) الخوارج قالوا: بكفر مرتكب الكبيرة بمجرد ارتكابه للكبيرة. وفي الآخرة: يكون مخلداً في النار .

(ج) المعتزلة قالوا: لا مؤمن ولا كافر ولكن في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة: اتفقوا مع الخوارج في خلوده في نار جهنم .

(د) المرجئة قالوا: إنه مؤمن كامل الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، وفي الآخرة: لا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية .

وسبب هذا الاختلاف هو التفريط والإفراط، زيادة في الدين أو النقص منه، فالتفريط هو التساهل في الدين، والإفراط هو التشدد في الدين وكلاهما منهي عنه شرعاً وموقع في الأهواء، والبدع، فالتساهل إعراض، والتشدد ابتداء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « وإنما جماع الشرِّ تفريط في حق أو تعدُّ إلى باطل، وهو تقصير في السنَّة أو دخول في البدعة، كترك بعض المأمور وفعل بعض المحظور، أو تكذيب بحق وتصديق بباطل » (١) .

وقال ابن المرتضى اليماني (ابن الوزير) - رحمه الله - : « فاعلم أن منشأ معظم البدع يرجع إلى أمرين واضح بطلانهما » .. وذكر أنها « الزيادة في الدين بإثبات ما لم يذكره الله تعالى ورسوله - ﷺ - من مهمات الدين الواجبة، والنقص منه بنفي ما ذكره الله تعالى ورسوله - ﷺ - من ذلك بالتأويل الباطل » (٢) . فبذلك يظهر تميز مذهب أهل السنَّة في الحكم على مرتكب الكبيرة وتوسطه بين الوعيدية ( الخوارج والمعتزلة ) ، والمرجئة ، والتوفيق في الجمع بين النصوص الواردة في الكتاب والسنَّة وأقوال السلف ، وهو المذهب الحق الذي يجب على العبد المسلم الإيمان به ، واعتقاده والتمسك به .

(١) كتاب الصَّفدية - تحقيق د/ محمد رشاد سالم ( ١ / ٢٩٣ ) - ط / على نفقة أحد المحسنين (١٤٠٦هـ) .

(٢) إنباء الحق على الخلق / لابي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني ابن الوزير (ص ٨٦ ، ٨٧) .

## المبحث الثالث

## الشفاعة في الكبائر

المراد بالكبائر في هذا الموضوع هو مادون الشرك بالله - عز وجل - من الذنوب والمعاصي، إذ النبي - ﷺ - قد أخبر أن الشرك من أكبر الكبائر وأخطرها على العبد، إذ قد يكون العبد المسلم يعمل من الصالحات ثم تصبح هباءً منثوراً بشركه بالله - عز وجل - ولكن في هذا المبحث نقصد بالكبائر مادون الشرك .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - عند كلامه على حديث الشفاعة لأهل الكبائر : « إنما أراد أمته ، الذين أجابوه فأمنوا به ، وتابوا من الشرك » (١) .

## المطلب الأول

## ثبوت شفاعة الرسول - ﷺ - لأهل الكبائر

لقد ورد في هذا أدلة كثيرة عن النبي - ﷺ - منها في الصحيح ومنها في السنن والمسانيد ، وقد ذكرنا بعضاً منها فيما سبق ، وهي تدل على ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر وما يثبت ذلك أيضاً ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » (١) .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - في معنى قوله - ﷺ - « لأهل الكبائر من أمتي » : « إنما أراد أمته الذين أجابوه فأمنوا به ، وتابوا من الشرك إذ اسم الأمة قد يقع على من بعث إليهم أيضاً ، أي أنهم أمته الذين بعث إليهم ، ومن آمن وتاب من الشرك فهم أمته في الإجابة ، بعدما كانوا أمته في الدعوة إلى الإيمان » (٢) .

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (١٦٢/٢) ح ١٩٢٠ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط . بدون ، وأبو داود في سننه : كتاب السنّة ، باب الشفاعة (١٠٦/٥) ح ٤٧٣٩ . والترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة والرقائق الورع ، باب ١١ ، منه (٥٣٩/٤) ح ٢٤٣٥ ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، والإمام أحمد في مسنده (٢١٣ / ٣) ، وابن ماجه في سننه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (١٤٤١/٢) ح ٤٣١٠ ، من حديث جابر رضي الله عنه ، وابن حبان في صحيحه (١٣٢/٨) بترتيب ابن بلبان برقم ٦٤٣٤ وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦١/٤) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٦٥١/٢) . وابن أبي عاصم في السنّة : باب في ذكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر (٣٩٩ / ٢) ح ٨٣١ ، والآجري في كتاب الشريعة : باب ما روي أن الشفاعة إنما هي لأهل الكبائر (ص ٣٠١) ، والحاكم في المستدرک : كتاب الإيمان (١٣٩ / ١) ح ٢٢٨ - وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، والبيهقي في كتاب الإعتقاد - بتحقيق أحمد بن إبراهيم أبو العيينة (ص ٢٦١) دار الفضيلة - الرياض - ط الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، والصابوني في عقيدة السلف (ص ٧٦) ، والإمام الألكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة (٦ / ١١٠١) ح ٢٠٦٦ ، وقال الحافظ ابن كثير : إنساده صحيح على شرط الشيخين ، انظر : تفسير ابن كثير (١ / ٥٢٣) ، وقال ناصر الدين الألباني - رحمه الله - : الحديث صحيح بطرقه ، انظر : كتاب السنّة لابن أبي عاصم (٢ / ٣٩٩) ح ٨٣٢ ، تخريج الألباني ، وانظر صحيح الجامع برقم / ٣٧١٤ ، وقد ذكر له طرقاً كثيرة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - تعالى ، منها حسن ، ومنها صحيح وغيرها ، انظر : كتاب الشفاعة (ص ٨٥) .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٦٥٨) .

## الشفاعة

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ - قال: « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ - فيدخلون الجنة يُسمون الجهنميين » (١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا رسول الله ﷺ - يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨-١١٦]، قال: «إني ادخرت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي» فامسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا، ثم نطقنا به ورجونا» (٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ - : « خيرت بين الشفاعة، وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين » (٣).

وكذلك مما ينص على شفاعة الرسول ﷺ - في أهل الكبائر الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها مارواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال الرسول ﷺ - : « لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » (٤).

(١) رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٨ / ١٤٥) ح ٦٥٥٩، وأحمد في مسنده (٣ / ١٣٤-٢٦٩) (٥ / ٣٩١).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦ / ١٠٦) برقم ٥٩٤٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٥)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير حرب بن سريح وهو ثقة، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٣٧١٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٧٥)، (٤ / ٤٠٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤١)، من حديث أبي موسى الأشعري وابن عمر، وقال: البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه إسناده صحيح ورجاله ثقات، والصابوني في عقيدة السلف الصالح، و البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص ٢٦٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦ / ١١٠٤) ح ٢٠٧٤، وقال الإمام المنذري: رواه أحمد والطبراني، وإسناده جيد. انظر الترغيب والترهيب (٤ / ٤٤٧-٤٤٨)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير النعمان بن قراد، وهو ثقة. انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٧٨)، وقال الشيخ الألباني - رحمه الله - تعالى: الحديث صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم / ٣٣٣٥، وقال الشيخ مقبل: الحديث رجاله رجال الصحيح. انظر: الشفاعة (ص ٦٩-٧١).

(٤) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب الأول (٨ / ٨٢) ح ٦٣٠٤، ورواه مسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لامته (١ / ١٨٩) ح ١٩٩، واللفظ له، وأحمد في مسنده (٢ / ٢٧٥).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : «يُدخلُ اللهُ أهل الجنة الجنة ، يُدخلُ من يشاءُ برحمته ، ويُدخلُ أهل النار النار ، ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا ، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا<sup>(١)</sup> ، فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ، ألم تروها كيف تخرجُ صفراء ملتوية<sup>(٢)</sup> .

وعن أنس عن النبي - ﷺ - قال : « يخرجُ من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير ، وفي رواية من " إيمان " مكان " من خير " <sup>(٣)</sup> .

وغيرها من الأحاديث الصريحة والمنصوص فيها على خروج الموحدين من النار بعد أن يأخذوا عذابهم بقدر ذنوبهم ويكون خروجهم بالشفاعة أو برحمة أرحم الراحمين سواء كانوا من أهل الكبائر أو دون ذلك من الذنوب .

**قال الإمام البيهقي - رحمه الله -** : « والأحاديث في مثل هذا كثيرة ، والمراد بها والله أعلم إثبات الجنة له في العاقبة ، ونفي التخليد عنه في العقوبة ، ثم من أهل التوحيد من يغفر له ابتداءً من غير عقوبة ، ومنهم من يعاقب على ذنبه مدة ثم تكون عاقبته الجنة ..... فالمعاصي التي هي دون الشرك وإن عظمت لا تبلغ مبلغ الشرك ، ولا توجب لصاحبها التخليد في النار .

(١) الحيا هو المطر ، سمي حيا لأنه تحيا به الأرض ، وكذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون وتحدث فيهم النضارة ، كما يحدث ذلك المطر في الأرض . النهاية في غريب الحديث والأثر ( ١ / ٤٧٢ ) وانظر : صحيح مسلم الحاشية ( ١ / ١٧٢ ) .

(٢) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ( ١ / ١٧٢ ) ح ١٨٤ ، أبو عوانة في مسنده ، بيان الدليل على أن الشفاعة لمن قال ( لا إله إلا الله وكان في قلبه شيء من الخير ) ( ١ / ١٨٥ ) - دار المعرفة - بيروت .

(٣) رواه البخاري : كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه ( ١ / ١٧ ، ١٨ ) ح ٤٤ ، وكتاب التوحيد ( ٩ / ١٤٩ ، ١٥٠ ) ح ٧٤١٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان - باب أدنى أهل الجنة منزلة ( ١ / ١٨٢ ) ح ١٩٣ ، واللفظ للبخاري .

## الشفاعة

وآيات التخليد كلها في الكفار وما ورد منها في أهل الإسلام ، فالمراد به أن ذلك جزاؤه ، وإذا أراد الله تعالى أن يعفو عن جزائه فَعَل ، والعفو عما ورد به الوعيد لا يكون خُلُفاً ، (١) .

**وقال - رحمه الله - :** « وفي تخليد المؤمن مع الكفار في النار تضييع ما أحسن من الإيمان بالله وكتبه ورسله ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء : ٤٠] ، (٢) .

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائراً أئمة المسلمين ، بأن عصاة الموحدين الذين استحقوا دخول النار جزاء بعض المعاصي التي ارتكبوها أنهم يخرجون منها ولا يخلدون فيها وأن نبينا محمد - ﷺ - يشفع فيهم يوم القيامة ، ولم ينكر ذلك إلا أهل البدع .

ومن أقوال بعض أئمة المسلمين في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر الموحدين ، ما يلي :

**قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - :** « ... إن شفاعة النبي - ﷺ - التي ذكرت أنها لأهل الكبائر ، ... ، وأنها لمن قد أدخل النار ، من غير أهل النار والذين هم أهلها أهل الخلود فيها ، بل لقوم من أهل التوحيد ارتكبوا ذنوباً وخطايا فأدخلوا النار لتصيبهم سقماً منها ، (٣) .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :** « ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه - ﷺ - يشفع في أهل الكبائر ، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد ، (٤) .

**وقال أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - :** عند كلامه عن مذهب أهل السنة والجماعة في الشفاعة : « ويقرون بشفاعة رسول الله - ﷺ - ، وأنها لأهل الكبائر من أمتة ، (٥) .

(١) كتاب البعث والنشور / للحافظ البيهقي - تحقيق الشيخ / عامر أحمد حيدر (ص ٧٥) .

(٢) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ / ٦٥٩) .

(٤) مجموع الفتاوى (١ / ١٠٨) .

(٥) مقالات الإسلاميين (١ / ٣٤٧) .

وقال الإمام الباقلاني<sup>(١)</sup> - رحمه الله - : «وما يدل على جواز الغفران لعصاة أهل المدة ما ورد من الأخبار الثابتة المتظاهرة في إثبات شفاعة الرسول - ﷺ - في أهل الكبائر»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عمرو الداني<sup>(٣)</sup> - رحمه الله - : «ويخرج بشفاعة رسول الله - ﷺ - من النار قوم بعدما امتحشوا فيها وصاروا حمماً ، ويدخلون الجنة ويغسلون في ماء الحياة فتنبت لحومهم كما تنبت الحبة في حميل السيل ، على ما أتت به الأخبار الصحيحة عن الرسول - ﷺ - ، . . . . . فلا يديم الله تبارك وتعالى عذابه إلا على الكافرين ، ولا يخلد في ناره إلا الجاحدين ، على ما أخبر به في قوله ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴾ [ يوسف ٨٧ ] ، (٤) .

وقال الإمام الجويني - رحمه الله - : «عند كلامه على الشفاعة ثم هي مصرحة بالشفيع في أهل الكبائر ، إذ قال رسول الله - ﷺ - : " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " (٥) . فإن الأخبار الماثورة شاهدة بتعلق الشفاعة بأصحاب الكبائر»<sup>(٦)</sup> .

(١) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد المعروف بابن الباقلاني ، المالكي ، الأصولي ، المتكلم على طريقة الأشاعرة ، لكنه كان يثبت كثيراً من الصفات الخيرية التي نفاها متأخرو الأشاعرة ، وقد لقي تلاميذ أبي الحسن الأشعري ، كان جيد الاستنباط سريع الجواب ، ولد سنة ٣٣٨ هـ في البصرة ، له مصنفات كثيرة ، منها : " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل في العقيدة ، إعجاز القرآن ، الإنصاف - وغيرها ، توفي في بغداد سنة ٤٠٣ هـ . انظر : تبين كذب المغتري / لابن عساكر (ص ٢١٧ وما بعدها ) ، سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١٧ / ١٩٠ وما بعدها ) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان ( ٤ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ ) برقم / ٦٠٨ ، الأعلام / للزركلي ( ٦ / ١٧٦ ) .

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل - تحقيق / عماد الدين حيدر (ص ٤١٥ - ٤١٦) .

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عثمان الأندلسي الداني ، محدث مكثر ، ومقرئ متقدم ، وإليه المنتهى في علم القراءات ، وهو إمام في علوم القرآن ، ولد سنة ( ٣٧١ ) ، من أهل دانية بالأندلس ، له مصنفات كثيرة ، منها : ( الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات ) وغيرها ، توفي سنة ( ٤٤٤ هـ ) في بلده . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١٨ / ٧٧ - ٨٣ ) ، شذرات الذهب / لابن العماد ( ج ٣ / ٢٧٢ ) المجلد الثاني ، الأعلام / للزركلي ( ٤ / ٢٠٦ ) .

(٤) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقاد وأصول الديانات (ص ١١٢) .

(٥) سبق تخريج الحديث ص ٢١٩ .

(٦) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص ٣٣٠ - ٣٣١) ، وشرح المقاصد / للإمام التفناراني - تحقيق / عبد الرحمن عميره ( ٥ / ١٥٧ ) - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ط / ١ / ١٤٠٩ هـ

## الشفاعة

وقال الإمام ابن حزم<sup>(١)</sup> - رحمه الله - : عند ذكره لأنواع الشفاعة : « والشفاعة الثانية في إخراج أهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح في ذلك الخبر »<sup>(٢)</sup> .

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله - : « وأجمع أهل السنة على أنه لا يبقى في النار مؤمن ولا يخلد إلا كافر جاحد »<sup>(٣)</sup> .

وقال الإمام الصابوني - رحمه الله - : « ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول - ﷺ - لمذنبى أهل التوحيد ومرتكبى الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله - ﷺ - »<sup>(٤)</sup> .

وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : « والإيمان بأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي - ﷺ - »<sup>(٥)</sup> .

وقال الإمام الطحاوي - رحمه الله - : « وأهل الكبائر من أمة محمد - ﷺ - في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين .

وهم في مشيئته وحكمه ، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله ، كما ذكر - عز وجل - في كتابه ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ ، وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته »<sup>(٦)</sup> .

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن يزيد الفارسي الأصل ، الفقيه ، الحافظ ، المتكلم ، الوزير الظاهري ، صاحب التصانيف ، منها ( المحلى - في الفقه ، الفصل في الملل والأهوال والنحل ) وغيرها ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ ، وتوفي في بادية لبلة ( من بلاد الأندلس ) سنة ٤٥٦هـ . انظر : سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ١٨ / ١٨٤ وما بعدها ) ، تذكرة الحفاظ / للذهبي ( ١١٤٦ / ٣ - ١١٥٤ ) ، الأعلام / للزركلي ( ٢٥٤ / ٤ ) .

(٢) الفصل في الملل والأهوال والنحل ( ٤ / ١١٣ ) .

(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ( ص ٥٠٧ ) .

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ( ص ٧٦ ) .

(٥) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ( ٢ / ٢١٤ ) .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق : الألباني ( ص ٣٦٩ ) .

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في عصاة الموحدين من أهل الكبائر :

« هؤلاء هم القسم الذين جاءت فيهم الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ - فإنهم يدخلون النار فيكونون فيها على مقدار أعمالهم ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ويلبثون فيها على قدر أعمالهم ثم يخرجون منها ، فينبتون على أنهار الجنة ، فيفيض عليهم أهل الجنة بالماء حتى تنبت أجسادهم ، ثم يدخلون الجنة ، وهم الطبقة الذين يخرجون من النار بشفاعة الشافعين ، وهم الذين يأمر الله سيد الشفعاء مراراً أن يخرجهم من النار بما معهم من الإيمان » (١) .

وقال ابن المرقضى - رحمه الله - : « وأحاديث الشفاعة المصروفة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع ، وهي قاطعة في الفاظها » (٢) .

وقال ابن الأمير الصنعاني - رحمه الله - عند ذكره لأنواع الشفاعة : « شفاعة ﷺ - في قوم من العصاة من أهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم » (٣) .

وقال الشيخ حافظ الحكمي - رحمه الله - : « فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه » (٤) .

فلما تقدم يتضح جلياً ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر ، فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش ، ومعهم أصل التوحيد فرجحت سيئاتهم على حسناتهم فيدخلون النار بقدر ذنوبهم ، ثم يأذن الله بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ - ولغيره من الأنبياء والملائكة والشهداء والأولياء والصالحين ومن شاء الله أن يكرمه بذلك .

(١) طريق الهجرتين ( ص ٥٦٨ - ٥٦٩ ) .

(٢) إبطار الحق على الخلق ( ص ٣٩٥ ) .

(٣) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة ( ص ٤٤٥ ) .

(٤) معارج القبول ( ٢ / ٨٩٦ ) .

ولكن نقول بعد ثبوت شفاعة النبي - ﷺ - للمذنبين من أمته ، أنه لا يسوغ  
 لمسلم عاقل أن يرتكب المحرمات والمنهيات عنها اتكالاً على هذه الشفاعة ، فإن  
 المسلم مطالب بأن يجتهد في العبادة والعمل حتى يرزقه الله - عز وجل - الوفاة  
 على كلمة التوحيد فيكون من أهل شفاعته - ﷺ - ، فإن أبعدنا لا يدري ما يختم له  
 في هذه الحياة .

## المطلب الثاني

## الكبائر المأذون بالشفاعة فيها

الكبائر المأذون بالشفاعة فيها هي ما دون الشرك بالله عزوجل ، فدعوات الانبياء ليست مستجابة كلها، فالله - عز وجل - لم يستجب دعوة النبي - ﷺ - في عبد الله (١) ابن أبي بن سلول وأصحابه ، حتى قال الله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [ التوبة : ٨٠ ] .

وكذلك أن النبي - ﷺ - سأل ربه أن يستغفر لأمه فمنعه ذلك، ولما أراد نوح - ﷺ - أن يستغفر لابنه قال الله تعالى له : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [ هود : ٤٦ ] لانه تلبس بالشرك ، وهذا إبراهيم - ﷺ - لم تنفع شفاعته في أبيه لانه مشرك .  
فمن مات مسلماً موحداً ولم يكن مشركاً وهو من أهل الكبائر فهو المقصود بالشفاعة كجا وردت في ذلك الأدلة الواضحة الصريحة في إخراج الموحدين من النار بالشفاعة أو برحمة أرحم الراحمين .

فهو سبحانه يختار الشفعاء من الانبياء والملائكة والشهداء والصالحين ، ولا يشفعون إلا في أهل التوحيد والإخلاص ، فالله لا يرضى المعاصي أو الشرك أو الكفر ، فالمشركون لا تنفعهم شفاعتة الشافعين وإن شفَعُوا لَهُمْ ، بينما أهل المعاصي دون الشرك يأذن بالشفاعة لأهلها ، وذلك من حكمته سبحانه .

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبي ؟ ، قال : « في النار » ، فلما قفى دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار » (٢) .

(١) عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في عهد الرسول ﷺ ، قضى حياته في الكيد للمسلمين ، ولما توفي في شوال سنة ٩ هـ جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن يعطي أباه ثوبه ليكفن فيه ، فأعطاه الرسول ﷺ ثوبه ونفث فيه من ريقه ، وصلى عليه ، فانكر ذلك عمر رضي الله عنه ، فقال له الرسول ﷺ : إني بين خيرتين ، فانزل الله : ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُنَّ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ [ التوبة : ٨٤ ] انظر : البداية والنهاية / لابن كثير ( ٥ / ٣١ ) المجلد الثالث .

(٢) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعتة ولا تنفعه قرابة المقرين ( ١ / ١٩١ ) ح ٢٠٣ ، وأحمد في مسنده ( ٣ / ١١٩ - ٢٦٨ ) ، وغيرهما .

وقال رسول الله - ﷺ - : «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً» (١) .

فتبين بهذا الحديث وغيره أن الكبائر المأذون بالشفاعة فيها هي ما دون الشرك بالله عز وجل .

فالمشرك بالله عز وجل لا تقبل فيه شفاعة وذلك لموته وهو لم يتب من شركه ، وذلك لنقضه التوحيد الخالص بالشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفي ، والدليل على الشرك الأكبر قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١١٦) .

[ النساء : ١١٦ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [ المائدة : ٧٢ ] ، فمن الشرك بالله عز وجل المانع من الشفاعة يوم القيامة :

الأول : شرك الدعوة ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٥) [ العنكبوت : ٦٥ ] .

الثاني : شرك النية والإرادة والقصد ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ (١٥) أولئك الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦) .

[ هود : ١٥-١٦ ] .

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٣ منه ( ٤ / ٥٤٢ ) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه ، وابن ماجه : كتاب الزهد - باب ذكر الشفاعة ( ٢ / ١٤٤١ ) ح ٤٣١١ ، وأحمد في مسنده ( ٧٥ / ٢ ) ، ( ٤٠٤ / ٤ ) ، ( ٤١٥ - ٤٠٤ / ٤ ) ، ( ٢٣٢ / ٥ ) ، ( ٢٣ / ٦ ) ، ( ٢٩ - ٢٨ - ٢٣ / ٦ ) ، ومشكاة المصابيح ( ١٥٥٨ / ٣ ) ح ٥٦٠٠ . والحديث : صحيح : انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته للالباني - رحمه الله - برقم / ٥٦ .

الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قول الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [ التوبة : ٣١ ] .

وتفسيرها الذي لا إشكال فيه هو : طاعة العلماء والعُباد في المعصية لا دعاؤهم إياهم ، كما فسرها النبي - ﷺ - : لعدي<sup>(١)</sup> بن حاتم لما سأله ، قال : « لسنا نعبدهم ، فذكر أن عبادتهم طاعتهم في المعصية »<sup>(٢)</sup> .

الرابع : شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [ البقرة : ١٦٥ ] .

فالشرك بالله عز وجل لا تقبل فيه الشفاعة وإن طُلِبَتْ فلا قبول لها لوجود المانع ، فتعتبر شفاعة باطلة لا تنفع أصحابها ، وهي مثل ما يدعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله - عز وجل - فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [ المدثر : ٤٨ ] ، وذلك لان الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم ، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم ، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ... ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [ يونس : ١٨ ] تعلق باطل غير نافع ، بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعداً .

فالمشرك لا ينتفع في الآخرة بعمله كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [ الانعام : ٨٨ ] .

(١) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الحشرج الطائي أبو طريف، صحابي شهير كان ممن ثبت على الإسلام في الردة، وحضر فتوح العراق وحرروب علي وهو ابن ١٢٠ سنة وقيل ٨٠ سنة، مات سنة ٦٨ هـ ، سير أعلام النبلاء ( ٣ / ١٦٢ وما بعدها ) ، تقريب والتنهيد ( ١ / ٦٦٨ ) برقم ( ٤٥٥٦ ) .

(٢) رواه الترمذي : كتاب تفسير القرآن ، باب ١٠ ومن سورة التوبة ( ٢٥٩ / ٥ - ٢٦٠ ) ح ٣٠٩٥ ، والبيهقي في الكبرى ( ١٠ / ١١٦ ) ، وحسنه الالباني : في غاية المرام في تخريج احاديث الحلال والحرام ( ص ٢٠ ) .

فالكفر والشرك يخلد صاحبه في النار ويحبط عمله ولا يكون له يوم القيامة شفيح ولا مغيث ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] ، وعن عائشة رضي الله عنها - قالت : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : ابنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحْمَ وَيَطْعَمُ الْمَسْكِينِ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ ؟ قَالَ - ﷺ : « لَا يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا : رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ » <sup>(١)</sup> . « فَالْكَفْرُ الْمَطْلُوقُ لَا شَفِيحَ لِأَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » <sup>(٢)</sup> .

وقال الإمام النووي - رحمه الله - : « من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم ولا ينقذه من ذلك شيء من الوسائل » <sup>(٣)</sup> .

وقال ابن القيم - رحمه الله - : « ومن وفقه الله تعالى لفهم هذا الموضع ومعرفته ، تبين له حقيقة التوحيد والشرك ، والفرق بين ما أثبتته الله تعالى من الشفاعة وبين ما نفاه وأبطله ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نورٍ » <sup>(٤)</sup> .

وقد علمنا النبي - ﷺ - إذا أردنا الفوز بشفاعته أن نسأل الله له الوسيلة لا أن نسأل من دون الله .

قال - ﷺ - : « سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » <sup>(٥)</sup> .  
فمن سلك طريقاً يصل بها إلى الشرك فلا تقبل فيه شفاعة ولا ينفعه أحدٌ لا نبي مرسل ولا قريب صالح .

(١) رواه مسلم ( سبق تخريج الحديث ص ١٥٠ ) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٧ / ٧٤ ) .

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ( ج ١ / ٢١٣ ) المجلد الأول .

(٤) الضوء المنير على التفسير / لابن القيم ( ٢ / ٢١٨ ) مؤسسة النور للطباعة ، ودار السلام - الرياض - السعودية - ط بدون .

(٥) سبق تخريج الحديث ، ص ٤٠ وهو برقم ٣٨٤ في مسلم .

# الفصل الثالث

شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

تمهيد :

- المبحث الأول : شفاعة غير الرسول ﷺ للأمة من (الملائكة .. وغيرهم) .
- المبحث الثاني : شفاعة الأعمال الصالحة للعبد .
- المبحث الثالث : شفاعة أرحم الراحمين .

obeikandi.com

## الفصل الثالث

شفاعة غير الرسول - ﷺ - للأمة

### تمهيد :

من فضل الله - عز وجل - على عباده أنه لم يقصر الشفاعة على شخص واحد من الأنبياء أو غيرهم وإنما جعل شفعاء يشفعون ويتوسطون للأمة بالمغفرة والرحمة ، فعلى المؤمن اعتقاد شفاعة الشفعاء ممن دلت الأدلة الشرعية على شفاعته يوم القيامة ، وأن الشفاعة لا تختص بالنبي - ﷺ - فقط إلا فيما اختصه الله به تفضيلاً وإكراماً وإجلالاً له ﷺ .

**قال الإمام السفاريني - رحمه الله - :** « يجب أن يعتقد أن غير النبي - ﷺ - من سائر الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصدّيقين والأولياء ، على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون ، ويقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون ، لثبوت الأخبار بذلك ، وترادف الآثار على ذلك ، وهو أمر جائز غير مستحيل ، فيجب تصديقه ، والقول بموجبه لثبوت الدليل فقد قال - ﷺ - : « أنا أول شافع وأول مشفع » (١) ، (٢) .

**وقال الإمام الآجوري - رحمه الله - :** « إن أهل الكفر لما دخلوا النار ورأوا العذاب الأليم ، وأصابهم الهوان الشديد ، نظروا إلى قوم هم من الموحدين معهم في النار ، فعيروهم بذلك وقالوا : ما أغنى عنكم إسلامكم في الدنيا وأنتم معنا في النار ؟ فزاد أهل التوحيد من المسلمين حزناً وغماً ، فاطلع الله - عز وجل - على ما نالهم من الغم بتعبير أهل الكفر لهم ، فاذن في الشفاعة فيشفع الأنبياء والملائكة والشهداء

(١) سبق تخريج الحديث ٨٥ .

(٢) لوامع الأنوار البهية ( ٢ / ٢٠٩ ) .

## الشفاعة

والعلماء والمؤمنون فيمن دخل النار من المسلمين ، فأخرجوا منها على حسب ما أخبرنا رسول الله - ﷺ - على طبقات شتى ، فدخلوا الجنة ، فلما فقدهم أهل الكفر ودوا أن لو كانوا مسلمين ، وأيقنوا أن ليس لهم شافع يشفع لهم ، ولا صديق حميم يغني عنهم من عذاب الله شيئاً ، ... وعلموا أن الشفاعة لغيرهم قالوا: ﴿ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [ الأعراف : ٥٣ ] (١) .

ويلاحظ أن آيات الشفاعة في القرآن الكريم قد ورد بعضها بصيغة الجمع منطوقاً ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (٤٨) ﴿ [ المدثر : ٤٨ ] ، أو مفهوماً كقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [ البقرة : ٢٥٥ ] (٢) .

فهذه الأدلة تدل على أن غيره ﷺ سيعطى الشفاعة سواء كان نبياً أو ملكاً أو شهيداً أو صديقاً أو عملاً صالحاً أو ما يدخره ربنا عز وجل لنفسه ليخرج من يشاء من عباده من النار برحمته الواسعة .

فلهذا ما يأتي من مباحث يختص ببيان أنواع هؤلاء الشفعاء على ضوء الأدلة الشرعية ، فهي عبارة عن تكريم للشافع من الله ، والرحمة للمشفوع فيه ممن يعلم الله أنهم من أهل الرحمة ومن أهل التقوى .



(١) كتاب الشريعة ، للإمام الآجري (ص ٢٩٩) .

(٢) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري (ص ١٢٤) - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط بدون .

## المبحث الأول

شفاعة غير الرسول - ﷺ - للأمم

(من الملائكة .. وغيرهم)

## أولاً: شفاعة الملائكة :

والدليل على هذه الشفاعة قول الله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِّنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (٢٦) ﴿ [ النجم : ٢٦ ] ، فلهم شفاعة بعد الإذن والرضى ، والدليل من السنة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً في زمن رسول الله - ﷺ - قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ، وهو حديث طويل وفيه : « .. فيقول الله - عز وجل - شفعت الملائكة ... ولم يبق إلا أرحم الراحمين .. » (١) .

## ثانياً: شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

والدليل على هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق وفيه ، فيقول الله تعالى : « شفعت الملائكة وشفع النبيون ... » . وفي لفظ البخاري : « فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبار بقيت شفاعتي ... » (٢) .

## ثالثاً: شفاعة الشهداء :

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في بعض السنن عن المقدم (٣) بن معد يكرب

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ (٢٦) ﴿ (٩/١٥٩-١٦٠) ح ٧٤٣٩ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية (١/١٧٠) ح ١٨٣ ، واللفظ لمسلم .

(٢) المصدران السابقان ( سبق تخريج الحديث ص ٨٧ ) .

(٣) المقدم بن معد يكرب بن عمرو الكندي ، أبو كريمة وقيل أبو يحيى صحابي مشهور ، هو أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من كندة ، نزل الشام ومات بها سنة (٨٧هـ) على الصحيح وله (٩١ سنة) . انظر : أسد الغابة / لابن الأثير ( ٥/٢٦٨ ) برقم ٥٠٧٠ تقريب التهذيب / لابن حجر ( ٢ / ٢١٠ ) برقم ٦٨٩٥ .

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « للشهيد عند الله ست خصال : يُغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفرع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوته منها خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ويُزوّج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه ... » وفي لفظ « في سبعين إنساناً من أقاربه » (١) .

وقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » (٢) ، وعن عثمان (٣) بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » (٤) .

#### رابعاً : شفاعة المؤمنين :

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب فضائل الجهاد ، باب في ثواب الشهيد (٤ / ١٦١) ح ١٦٦٣ ، وقال هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ ، واللفظ له ، وابن ماجه في سننه : كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة في سبيل الله (٢ / ٩٣٦) ح ٢٧٩٩ ، والإمام أحمد في مسنده (٤ / ١٣١) - والآجري في كتاب الشريعة ، باب ذكر شفاعة العلماء والشهداء يوم القيامة بلفظ (ل للشهيد عند الله عز وجل تسع خصال ..) (ص ٣١٢) ، - والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للالباني - رحمه الله - برقم / ٥١٨٢ ، مشكاة المصابيح بتحقيق الالباني (٢ / ١١٢٧) ح / ٣٨٣٤ وقال الالباني : إسناده صحيح .

(٢) رواه أبو داود في سننه : كتاب الجهاد ، باب في الشهيد يشفع (٣ / ٣٤) ح ٢٥٢٢ ، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، - والآجري في كتاب الشريعة ، باب ذكر شفاعة العلماء والشهداء يوم القيامة (ص ٣١٢) ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للالباني رحمه الله برقم / ٨٠٩٣ .

(٣) عثمان بن عفان أمير المؤمنين ذو النورين ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، جمع الناس على مصحف واحد ، كان يتفق ماله في سبيل الله ، ثالث الخلفاء الراشدين ، استشهد سنة ٣٥ هـ ، وعمره ٨٢ سنة ، انظر : أسد الغابة (٣ / ٦٠٦-٦١٨) ترجمة رقم / ٣٥٨٣ ، تذكرة الحفاظ (١ / ٨ ، ٩) ، تاريخ الخلفاء / للسيوطي (١٦٥ - ١٨٤) ، تقريب التهذيب (١ / ٦٦٣) رقم ٤٥١٩ ، مشاهير علماء الأمصار (ص ٥) .

(٤) رواه ابن ماجه في سننه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤٣) ح ٤٣١٣ ، - والبيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٢٦٥) ح ١٧٠٧ ، وكنز العمال (١٤ / ٤٠١) ح ٣٩٠٧٢ ، وضعفه الشيخ مقبل الوداعي ، لأن في سنده علاق بن أبي مسلم وغيره . انظر : الشفاعة (ص ١٧٨) .

ﷺ وفيه : « ... حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله ، في استقصاء الحق ، من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم . فتحرَّمُ صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه دينار من خيرٍ فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خيرٍ فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من خيرٍ فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيه خيراً ، » .

وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقراوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [ النساء : ٤٠ ] ، « فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين » ، وفي لفظ : « .. فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون .. » (١) .

فالمؤمنون يوم القيامة يناشدون الله عز وجل في العفو والمغفرة لإخوانهم المسلمين أهل الذنوب والمعاصي فيشفعهم الله فيهم ويقبل مناشدتهم له في ذلك .  
ومما يمكن الاستدلال به أيضاً على هذه الشفاعة ما يأتي :

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن من أمتي من يشفع للفتام (٢) من الناس ، ومنهم من يشفع للقبيلة ، ومنهم من يشفع للعصبة ،

(١) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَجُودَةٌ يُؤْتِيهِ نَاصِرَةٌ ﴾ [٢٧] ﴿ ١٥٩/٩ - ١٦٠ - ١٦١ ﴾ .

ح ٧٤٣٩ ، ومسلم ، كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية (١/١٧٠) ح ١٨٣ ، واللفظ لمسلم .

(٢) الفتام : الجماعة الكثيرة ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٠٦/٣) .

ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة» (١) .

وقال رسول الله - ﷺ - : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحسين ربيعة ومضر ، أو مثل أحدا لحيين ربيعة ومضر .. » (٢) .

وقال - ﷺ - : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم ، قالوا : يارسول الله سواك ؟ ، قال « سواي » (٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال : « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والرجل للرجل » (٤) .

فهذه الأدلة تبين شفاعة المؤمنين لإخوانهم العصاة من أهل النار وذلك تفضلاً من الله - عز وجل - لعباده المؤمنين أن أكرمهم وأعطاهم ذلك فكلما كان المؤمن أكثر تُقى وإيماناً كان أحق بالشفاعة لإخوانه المؤمنين ، عكس من كان معرضاً عن أوامر الله

(١) رواه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٢ منه (٥٤١ / ٤) ح ٢٤٤٠ ، وقال : هذا حديث حسن ، وأحمد في مسنده (٢٠ / ٣ - ٦٣) ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢ / ٦٣٦) ، مشكاة المصابيح (٣ / ١٥٥٨) ح ٥٦٠٢ ، وقال الالباني : إسناده ضعيف ، وحسنه الوادعي . انظر : الشفاعة (ص ١٦٨) ، وذكر الهيثمي نحو هذا وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح : ( وإن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة ... ) . انظر : مجمع الزوائد (٢٠ / ٣٨٢) .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥ / ٢٥٧ - ٢٦١ - ٢٦٧) ، وقال المنذري : رواه أحمد بإسناد جيد ، انظر الترغيب والترهيب (٤ / ٤٤٥) فصل في الشفاعة وغيرها . من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، - ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨ / ١٤٣) ح ٧٦٣٨ ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ميسرة وهو ثقة . انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨١) ، - والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للالباني - رحمه الله - برقم / ٥٣٦٣ ، وقال الشيخ مقبل الوادعي ( ثابت الحديث ، انظر : الشفاعة (ص ١٧١) .

(٣) رواه الترمذي في سننه : كتاب صفة القيامة ، باب ١٢ منه (٥٤١ / ٤) ح ٢٤٣٨ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . من حديث عبد الله ابن أبي الجعداء رضي الله عنه ، وابن ماجه في سننه : كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤٤) ح ٤٣١٦ ، والإمام أحمد في مسنده (٣ / ٤٧١) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢ / ٧٤١) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢ / ٧٦) ح ١٨٨ ، والحاكم في المستدرک (١ / ١٤٢) ح ٢٣٧ ، وقال : هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي ، والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للالباني - رحمه الله - برقم / ٥٣٦٤ .

(٤) رواه أحمد في مسنده (١ / ٢٠) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢ / ٧٤٥) ، وقال الهيثمي : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد (١٠ / ٣٨٢) .

تعالى ورسوله - ﷺ - وارتكب ذنباً كبيراً فإنه يحرم من ذلك وقد ورد بيان ذلك في السنة المطهرة من حديث أبي الدرداء (١) رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال : « إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة » (٢) .

فمن كانت هذه صفته وأخلاقه فيحرمه الله - عز وجل - أن يكون من الشفعاء لإخوانه المسلمين يوم القيامة ، وذلك حين يشفعون في إخوانهم الذين استوجبوا النار .

### خامساً : شفاعة الأبناء للأباء :

ومن الأدلة على هذه الشفاعة ما ورد عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « صغارهم دعاميص (٣) الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه ، أو قال بيده ، كما أخذ أنا بصنفة (٤) ثوبك هذا ، فلا يتناهي (٥) أو قال فلا ينتهي حتى يدخله الله وأباه الجنة » (٦) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتت امرأة النبي - ﷺ - بصبي لها ، فقالت : يا نبي الله ادع الله له ، فلقد دفنت ثلاثة ، قال - ﷺ - : ( دفنت ثلاثة ) ؟ ، قالت : نعم .

(١) هو الصحابي الجليل : عويمر بن مالك بن زيد بن قيس الخزرجي الانصاري - أبو الدرداء - أخى الرسول ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ، وشهد ما بعد أحد من المشاهد مع رسول الله ، واختلف في شهوده أحد ، ولي قضاء دمشق في عهد عثمان بن عفان ، وتوفي بها سنة ٣٢ هـ ، انظر : طبقات ابن سعد (٣٩١/٧ - ٣٩٣) ، أسد الغابة (١٠٤/٦ - ١٠٥) ترجمة رقم ٥٨٥٨ ، الإصابة (٤٥/٣ - ٤٦) ، ترجمة رقم ٦١١٧ ، تقريب التهذيب (١/٧٦١) رقم / ٥٢٤٤ .

(٢) رواه مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ٤/ ٢٠٠٦ ح ٢٥٩٨ ، وأحمد في مسنده ٤٤٨/٦ . وغيرهما .

(٣) دعاميص : واحد دعموص أي صغار أهلها . وأصل الدعوموص دويبة تكون في الماء لا تغارقه ، أي إن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج ١٦ / ١٨٢) المجلد السادس ، والنهاية في غريب الحديث والآثر (٢ / ١٢٠) .

(٤) بصنفة : وهو طرفه مما يلي طرته . النهاية من غريب الحديث والآثر (٣/٥٦) .

(٥) لا يتناهي : أي لا يتركه . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج ١٦ / ١٨٢) المجلد السادس .

(٦) مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٤ / ٢٠٢٩) ح ٢٦٣٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، - وأحمد في مسنده (٢ / ٤٨٨ ، ٥١٠) وغيرهما ..

## الشفاعة

قال - ﷺ - : « لقد احتظرت<sup>(١)</sup> بحظارٍ شديدٍ من النار »<sup>(٢)</sup> ، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله وإياهم بفضل رحمته الجنة ، وقال : يقال لهم : ادخلوا الجنة ، قال : فيقولون : حتى يجيء أبوانا ، قال ثلاث مرات ، فيقولون : مثل ذلك ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم »<sup>(٣)</sup> .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال الرسول - ﷺ - : « إن الرجل لترفع درجته في الجنة ، فيقول : أنى لي هذا ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك . »<sup>(٤)</sup> .

وهذه الشفاعة الثابتة بهذه الأدلة تُظهر أيضاً مكانة الوالدين وعظهما عند الله - عز وجل - وكذلك أفضلية الصبر عند المصيبة وفقد الأولاد وأنه يظهر أثرهما عند الله - عز وجل - في ذلك اليوم الشديد ، الذي يحتاج العبد المسلم فيه إلى من يغيثه ويعينه على مصيبتيه ، فيسخر الله - عز وجل - الأولاد لآبائهم ليكونوا لهم شفعاء عنده - عز وجل - فينتفعوا بهم والحمد لله .

(١) احتظرت: أي امتنعت بمانع وثيق . انظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج ١٦ / ١٨٣) المجلد السادس ، وقال ابن الأثير : أراد لقد احتميتني بحمي عظيم من النار ، النهاية في غريب الحديث والأثر ( ١ / ٤٠٤ ) .

(٢) مسلم : كتاب البر واصله والآداب ، باب فضل من يموت له ولد .. ( ٤ / ٢٠٣٠ ) ح ٢٦٣٦ ، وأحمد في مسنده ( ٤١٩ / ٢ ) وغيرهما .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ( ٢ / ٥١٠ ) واللفظ له ، والنسائي : كتاب الجنائز ، باب ثواب من يتوفى له ثلاثة من الولد ( ١ / ٦١٥ ) ح ٢٠٠٤ دار الكتب العلمية ، والبيهقي في السنن الكبرى : كتاب الجنائز ، باب ما يرجي في المصيبة بالأولاد إذا احتسبهم ( ٤ / ٦٨ ) . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح خلا يزيد بن أبي بكره ولم أجد من ترجمه . انظر: مجمع الزوائد ( ٣ / ٧ ) ، والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للالباني برقم / ٥٧٨٠ ، وانظر كتاب الشفاعة للشيخ مقبل الوداعي ( ص ٢٠٢ ) قال - رحمه الله - : الحديث رواه النسائي والبيهقي وهو على شرط الشيخين .

(٤) رواه أحمد في مسنده ( ٢ / ٥٠٩ ) ، وابن ماجه - كتاب الأدب ، باب بر الوالدين ( ٢ / ١٢٠٧ ) ح ٣٦٦٠ ، وقال صاحب الزوائد : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، ومشكاة المصابيح ( ٢ / ٧٢٧ ) ح ٢٣٥٤ . والحديث صحيح : انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته للالباني - برقم / ١٦١٧ .

## المبحث الثاني

## شفاعة الأعمال الصالحة للعبد

أولاً: شفاعة القرآن (أي أجر العمل به) :

مما يدل على شفاعة القرآن يوم القيامة ورد في حديث النبي - ﷺ - قوله : «اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة ، (١) أي السحرة .

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : « فقوله : ( تحاجان عن أصحابهما ) أي . يخلق الله من يجادل عنه بثوابهما ملائكة . . . . . وكذلك يخلق الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين ، فيشفعان له ، وكذلك إن شاء الله سائر الأعمال الصالحة ، كما ذكره ابن المبارك (٢) في دقائقه : أخبرنا رجل عن زيد (٣) بن أسلم قال : بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة وأحسن ما خلق الله وجهاً وثياباً وأطيبه ريحاً ، فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء آمنه وكلما تخوف شيئاً

(١) رواه مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ( ٥٥٣ / ١ ) ح ٨٠٤ وأحمد في مسنده ( ٢٤٩ / ٥ ) من حديث أبي أمامة الباهلي ، والبيهقي في الكبرى : كتاب الصلاة ، باب المعاهدة على قراءة القرآن ( ٢ / ٣٩٥ ) .

(٢) هو عبد الله بن المبارك بن واضح ، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم التركي ، الإمام الحافظ . جمع بين العلم والجهاد والتجارة ، كان ينفق بسخاء ، له تصانيف كثيرة وقد أكثر من الترحال في طلب العلم والجهاد . ولد سنة ١١٨ هـ ، وتوفي سنة ١٨١ هـ ، ويقال إن الرشيد لما بلغه موته قال : مات سيد العلماء ، من مؤلفاته : الزهد ، والجهاد وغير ذلك . انظر : حلية الأولياء / لأبي نعيم ( ٨ / ١٦٢ ) ، وفيات الأعيان / لابن خلكان ( ٣ / ٣٢ ) سير أعلام النبلاء / للذهبي ( ٨ / ٣٧٨ ) وما بعدها ، شذرات الذهب / لابن العماد ( ج ١ / ٢٩٥ ) المجلد الأول .

(٣) هوزيد بن أسلم العدوي - أبو عبد الله - أبوه مولى عمر بن الخطاب . قال ابن حجر : (( ثقة عالم كان يرسل ، من الثالثة )) توفي سنة ١٣٦ هـ ، انظر : تقريب التهذيب ( ١ / ٣٢٦ ) ترجمة رقم ٢١٢٣ ، سير أعلام النبلاء ( ٥ / ٣١٦ ) .

هوّن عليه ، فيقول : جزاك الله من صاحب خيراً . من أنت ؟ .  
**فيقول** : أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك ، أنا عملك كان والله  
 حسناً . فلذلك تراني حسناً وكان طيباً فلذلك تراني طيباً .

يقال فاركبني فطال ما ركبتك في الدنيا وهو قوله تعالى : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ [ الزمر : ٦١ ] حتى يأتي به إلى ربه - عز وجل - فيقول يارب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب في عمله ، وكل صاحب تجارة وصانع قد أصحاب في تجارته ، غير صاحبي هذا قد شغل في نفسه فيقول الله تعالى : فما تسأل ؟ فيقول المغفرة والرحمة أو نحو هذا ، فيقول : فإنني قد غفرت له .. » (١) .

وجاء في بعض السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ - قال : «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [ تبارك ] » (٢) .  
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « اقرءوا القرآن فإنه نعم الشفيع يوم القيامة .. » (٣) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « يجيء القرآن يشفع لصاحبه ، يقول : يارب لكل عامل عمالة من عمله وإنني كنت أمنعه للذة والنوم ، فأكرمه ، فيقال : أبسط يمينك ، فيملاً من رضوان الله ، ثم يقال : ابسط شمالك فيملاً من رضوان الله ، ويكسى كسوة الكرامة ، ويحلى حلية الكرامة ، ويلبس تاج الكرامة » (٤) .

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٤٠٨) .

(٢) رواه أبو داود في سننه : كتاب الصلاة ، باب في عدد الآي (١١٩/٢) ح ١٤٠٠ ، والترمذي في سننه : كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة الملك (١٥١/٥) ح ٢٨٩١ ، وقال : حديث حسن ، وابن ماجه في سننه : كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن (١٢٤٤/٢) ح ٣٧٨٦ ، والحديث حسن ، انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم / ٣٦٤٤ ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي . انظر : الشفاعة : (ص ٢٠٩) .

(٣) رواه الدرامي في سننه : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن (٣٠٩/٢) ح ٣٣١٤ ، واللفظ له وأحمد في مسنده (٢٤٩/٥ - ٥٥ - ٢٥٧) ، وصححه الشيخ مقبل ، انظر : الشفاعة (ص ٢١٨) .

(٤) رواه الدرامي في سننه : كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن (٣٠٩/٢) ح ٣٣١٥ ، واللفظ له ، والترمذي : كتاب فضائل القرآن باب ١٨ (١٦٣/٥) ح ٢٩١٥ ، وقال : هذا حديث حسن =

فالقرآن الكريم هو كلام رب العالمين سبحانه وتعالى فقراءته والعمل به يقتضي حصول العبد على الأجر والثواب ، فيعتبر انقياد العبد لكلام الله سبحانه وتعالى باباً من أبواب إقامة القرآن حجيجاً لصاحبه ( أي قارئه ) وشفيعاً له عند الله - عز وجل - فعلى العبد المسلم أن يغنم قراءته وتدبره وتطبيقه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

### ثانياً: الصيام :

ومما يدل على شفاعة الصيام يوم القيامة ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعتك النوم بالليل فشفعني فيه ، قال : فيشفعان ، (١) .

فتواب الصيام ينقلب ملكاً يشفع لصاحبه ، وقد ذكرنا فيما سبق أنه من أسباب الشفاعة للعبد المسلم عند الله - عز وجل - يوم القيامة .



صحیح ، وابن ماجه : كتاب الأدب ، باب ثواب القرآن ( ١٢٤٢ / ٢ ) برقم / ٣٧٨١ ، وأحمد ( ٣٥٢ / ٥ ) ، والحاكم في مستدرکه بنحو ( ٧٣٩ / ١ ) ح / ٢٠٢٩ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ومجمع الزوائد ( ١٦٠ / ٧ ) ، والحديث حسن : انظر صحيح الجامع للالباني برقم ( ٨٠٣٠ ) .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ( ١٧٤ / ٢ ) ، وقال الهيثمي : رواه أحمد وإسناده حسن على ضعف في ابن الهيثمة وقد وثق ، مجمع الزوائد ( ٣٨١ / ١٠ ) ، والحاكم في المستدرک ( ٧٤٠ / ١ ) ح / ٢٠٣٦ ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي . - وقال المنذري : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، ورجاله يحتج بهم في الصحيح : انظر الترغيب والترهيب كتاب الصوم ( ٢ / ٨٤ ) ح ١٥ ، - والحديث صحيح : انظر صحيح الترغيب والترهيب للالباني - رحمه الله - ( ١ / ٤٨٣ ) برقم ٩٦٩ .

## المبحث الثالث

## شفاعة أرحم الراحمين

سبق وأن تكلمنا أن أصل الشفاعة كلها لله - عز وجل - ولكن يمنح غيره تفضلاً وإكراماً ، فقد وضع الإسلام المبدأ العام للشفاعة، فقرر أن العصاة المؤمنين يعاقبون في النار بمشيئة الله ثم يخرجون منها بشفاعة سيدنا محمد - ﷺ - وبشفاعة غيره كما أسلفنا ذكرها فيما سبق ، ثم يقرر أن من لم تسعه شفاعة هؤلاء وكان قد سبق لهم الإيمان فإنه يخرج من العذاب برحمة الله جل جلاله ، بل إن كثيراً من عصاة المؤمنين يُغفر لهم قبل إدخالهم النار إما بشفاعة الرسول - ﷺ - ، وإما برحمة الله - عز وجل - على عباده المسلمين ، فيخرج طائفة كبيرة من عصاة الموحدين لا يعلم عدتهم إلا هو وذلك برحمته لا بشفاعة الشافعين ، وقد جاء في ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي - ﷺ - قال : « إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يترحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمةً ، يرحمُ بها عباده يوم القيامة » (١) .

ومن الأدلة على هذه الشفاعة ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الحديث الطويل وفيه : « ..... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضةً من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة .. » (٢) .

وكما ورد في حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله - ﷺ - : « إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض ... وفيه : فيقال لي : يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول يارب

(١) رواه مسلم : كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه (٤/ ٢١٠٨) ح ٢٧٥٢ وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة (٢/ ١٤٣٥) ح ٤٢٩٣ ، وغيرهما .

(٢) سبق تخريج الحديث ص ١٦٩ .

أئذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله ، قال: ليس ذاك لك (أو قال ليس ذاك إليك) ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي<sup>(١)</sup> لأجرجن من قال: لا إله إلا الله<sup>(٢)</sup> ، فجعل هذه الشفاعة له إظهاراً لرحمته على عباده سبحانه وتعالى .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، رجل يخرج من النار حبواً<sup>(٣)</sup> ، فيقول الله تبارك وتعالى له ، اذهب فادخل الجنة ..»<sup>(٤)</sup> .

قال الإمام ابن خزيمة - رحمه الله - : « وأن هذا الواحد يبقى بعدهم ( أي أهل الجنة ) بين الجنة والنار ثم يدخله الله بعد ذلك الجنة بفضله ورحمته ، لا بشفاعة أحد ، ويعطيه فضلاً منه وكرماً وجوداً ، ما ذكر في الخير من الجنة »<sup>(٥)</sup> .

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : « ويخرج قوم من النار برحمة الله عز وجل . ما لبثوا فيها ما شاء الله عز وجل وقوم يخلدون فيها أبداً ، وهم أهل الشرك .. »  
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة ، بل بفضله ورحمته »<sup>(٦)</sup> .

والأدلة في رحمة الله وفضله على عباده كثيرة ، فرحمته سبقت غضبه سبحانه وتعالى .

- 
- (١) جبريائي : أي عظمتي وسلطاني وقهري . انظر النهاية في غريب الحديث ولا اثر ( ١ / ٢٣٥ ) .  
(٢) رواه البخاري : كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الانبياء وغيرهم ( ٩ / ١٧٩ - ١٨٠ ) . ح ٧٥١٠ ، رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ( ١ / ١٨٤ ) ح ١٩٣ .  
(٣) حبواً : قال أهل اللغة : الحبو المشي على اليدين والرجلين ، وربما قالوا : على اليدين والركبتين ، وربما قالوا : على يديه ومقعدته . صحيح مسلم بشرح النووي ( ٣ / ٣٩ ) المجلد الأول .  
(٤) رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب آخر أهل النار خروجاً ( ١ / ١٧٣ ، ١٧٤ ) ح ١٨٦ ، وابن ماجه : كتاب الزهد ، باب صفة الجنة ( ٢ / ١٤٥٢ ) ح ٤٣٣٩ ، وغيرهما .  
(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة ( ٢ / ٧٦٢ ) .  
(٦) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ( ٢ / ٢١٤ ) .  
(٧) العقيدة الواسطية لابن تيمية ، شرح ابن عثيمين ( ص ٤٠٦ ) ، مجموع الفتاوى ( ٣ / ١٤٨ ) .